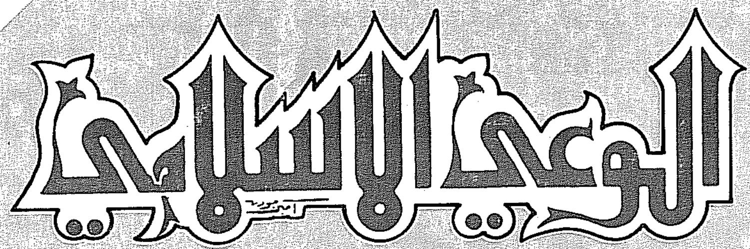
هدية العدد : براعم الإيمان



إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٩١ ○ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ ○ سبتمبر ١٩٨٠ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

منظر عام لتجمع الحجاج في عرفات .



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٩١ ○ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ ○ سبتمبر ١٩٨٠ م

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

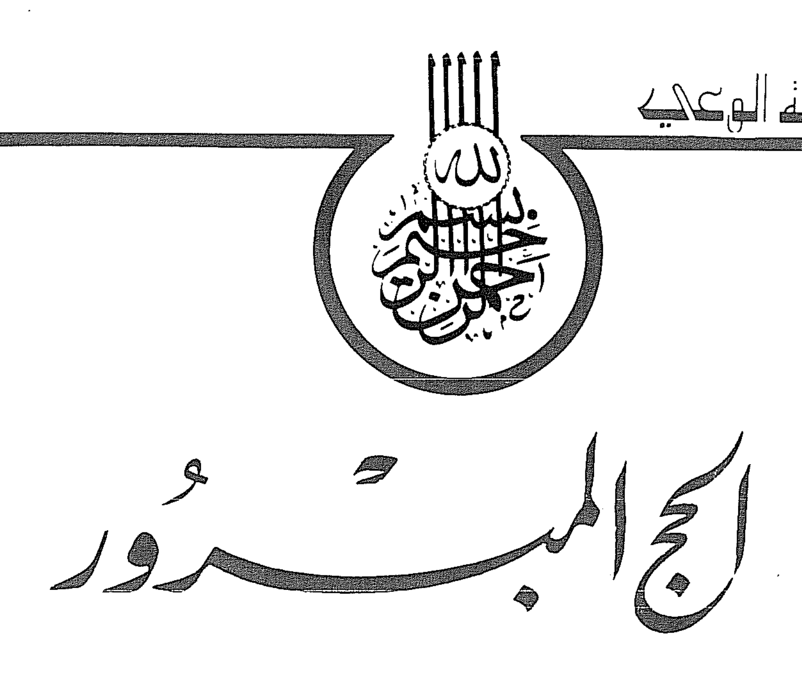


صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

كلمة الوعي



الحج المبرور

الحج هو قصد (مكة) في أشهر معلومات هي : (شوال وذو القعدة وذو الحجة) لأداء الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك ، ابتغاء وجه الله تعالى .

وقد فرضه الله تعالى مرة واحدة في العمر على كل مسلم بالغ عاقل يستطيع السبيل اليه ، ودليل فرضيته قول الله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال الأقرع ابن حابس : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال : لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم . الحج مرة فمن زاد فتطوع » وهو ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وقد كان آخرها نزولا .. فشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرضت من يوم التبليغ الأول في مكة ، والصلاة فرضت ليلة الاسراء والمعراج قبل الهجرة ، والصوم ومقدار الزكاة من كل نوع من أنواع المال فرضا في السنة الثانية من الهجرة ، أما الحج فقد فرض في السنة السادسة من الهجرة ـ على رأي جمهور العلماء ـ

وقد جاءت فرضيته والمسلمون في شوق بالغ الى دخول مكة رافعين راية الاسلام ففرحوا بفرضية الحج فرحا شديدا ، واعتبروها بشارة من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقرب يوم النصر على الأعداء ، وتطهير البيت الحرام وما حوله من الأوثان والأصنام وجعله خالصا لكلمة التوحيد وحدها .

وهو واجب على التراخي ، ولكن يستحب تعجيله والمبادرة به متى استطاع المكلف أداءه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة) .

والحج ينتج ثمرته الطيبة ويعطي عطاءه الكريم ، اذا كان حجا مبرورا ، والحج المبرور هو الذي لا يخالطه اثم ولا معصية ويقترن باطعام الطعام وطيب الكلام والتزود من فعل الخيرات ، لقول الله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) وقد بين الحسن ـ رضي الله عنه ـ « ان علامة الحج المبرور أن يرجع الحاج زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة » .

وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور) .

وقد جعله الله جهاد من لا يقدرون على مشقات الجهاد في سبيل الله . فقد ورد عن الحسن بن علي : ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر من عدم استطاعته الجهاد قائلا : اني جبان . واني ضعيف فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج .

والعمرة هي زيارة الكعبة والطواف حولها ، والسعي بين الصفا والمروة ، ثم الحلق او التقصير ، وهي عند جمهور الفقهاء سنة وعند بعضهم واجب ، والراجح سنيتها لحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة أواجب هي ؟ قال : « لا » وجمهور العلماء على جواز ادائها في جميع أيام السنة . والبعض يرى كراهتها في خمسة أيام : يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة ، وأفضل أوقاتها ـ شهر رمضان ! لما بينه النبي صلى الله عليه وسلم من أن أداءها في رمضان يعدل ثواب حجة متطوع بها بقوله : « عمرة في رمضان تعدل حجة » .

ويجوز للمعتمر ان يعتمر في أشهر الحج من غير أن يحج . كما يجوز له الاعتمار قبل أن يحج لما روى البخاري عن عكرمة بن خالد قال : « سألت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن العمرة قبل الحج فقال : لا بأس على أحد أن يعتمر قبل الحج ، فقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحج » .

وقد جاءت مشروعية العمرة في قول الله جل شأنه : (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن

يطوف بهما) وفي قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله) .

والذي يريد العمرة ان كان خارج مواقيت الحج يجب عليه الاحرام بها من الميقات لما رواه البخاري ان زيد ابن جبير أتى عبدالله بن عمر فسأله من أين يجوز أن أعتمر ؟ قال : فرضها رسول الله لأهل نجد (قرنا) ولأهل المدينة (ذا الحليفة) ولأهل الشام (الجحفة) .. وان كان داخل المواقيت فميقاته في العمرة الحل ولو كان بالحرم لحديث البخاري عن جابر – رضي الله عنه – أن عائشة – رضي الله عنها حاضت ، فنسكت المناسك كلها غير أنها لم تطف بالبيت فلما طهرت وطافت قالت : يا رسول الله أتنطلقون بحج وعمرة وأنطلق بالحج ؟ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها الى التنعيم ، فاعتمرت بعد الحج في ذي الحجة) .

والحج المبرور والعمرة المبرورة يكفران الذنوب ، وينفيان الفقر ويحققان إجابة الدعاء والاستغفار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .. وقال : « تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » وقال : الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم) وروى ابن جريج باسناد حسن عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة ، وان رده رده بأجر وغنيمة) .

وجدير بالمسلمين أن يحققوا الفائدة من الحج وأن يدركوا أنه مؤتمر اسلامي يأتي اليه المسلمون : من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ومن أهم المنافع أنه يعطيهم الفرصة في كل عام أن يتدارسوا – في ظلال الطاعة لله وذكريات الأماكن المقدسة ، وصفاء النفوس والأرواح – شئونهم ، ويديروا أمورهم ويصححوا مواقفهم على ضوء الأحداث والتجارب ، وأن يتوحدوا على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فلا تتشعب بهم الأهواء الضالة المضلة ، ولا تتفرق بهم السبل عن صراط الله المستقيم وفي ذلك عزهم ، ومجدهم وقوتهم وانتصارهم على نفوسهم وعلى أعدائهم .

ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

خصائص التفسير والتأويل والبيان في الكتاب والسنة

للأستاذ : محمد العفيفي

١ ـ مقدمة لحقيقة التفسير والتأويل والبيان
٢ ـ التفسير وخصائصه في القرآن والسنة
٣ ـ التأويل وخصائصه في القرآن والسنة
٤ ـ البيان وخصائصه في القرآن والسنة

١ ـ التفسير وخصائصه في القرآن والسنة

ظهر لنا فيما سبق من قبل أن التفسير ، والتركيب ، حقيقتان مترابطتان ، لا تنفصلان أبدا . ذلك أن التفسير ، في حقيقته الشاملة ، قد جعله الله بيانا ، للمعاني المشتركة التي تكثر حتى لا يستطيع البشر أن يردوا كل معنى منها الى وجهه الخاص به من وجوه الحقيقة .

والله تعالى غني عن ذلك ، وإنما هو يفسر الحقيقة لعباده ، رحمة منه بهم ، وعونا لهم على فهم وجوهها ، التي لا يستطيعون الاحاطة بها ، فهم بحاجة إلى أن يعرفوها ، في معان كثيرة ، ليستعينوا بذلك على التغلب على ما فيهم من الميل إلى النسيان ، أو العصيان ، أو الركون إلى الكذب وأهله والنفور من الصدق وأهله .

يقول الله تعالى :

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا .

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا .

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)

(٣١ ـ ٣٣) الفرقان

وهذه الآيات الثلاث جاءت في سورة الفرقان مبينة ما سبق كله ، وأكثر منه مما لا نحيط بعلمه .

ولكننا ننظر فنجد هذه الآيات تدلنا في المقام الأول على ارتباط التفسير بالتركيب ، الذي يصل عقولنا بالحكم النهائي الثابت ، لكل وجه من وجوه

الحقيقة ، ولا يقدر على التفسير الذي يتحقق به ذلك إلا الله وحده .

لذلك فقد جعل الله سبيلنا إلى هذا التفسير ، هو الوحي الالهي ، من قرآن وسنة ، ننظر في تركيب كل منهما ، وننظر في ترابط مقاصدهما الواحدة ، ونحن نعيش في صميم التركيب الكوني الذي أحيانا الله في رحابه .

ولننظر كيف ذكر الله رسوله في هذه الآيات الثلاث مرات كثيرة حيث قال : **(وكذلك جعلنا لكل نبي)** وحيث قال : **(لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة)** وحيث قال : **(كذلك لنثبت به فؤادك)** وحيث قال : **(ولا يأتونك بمثل)** وحيث قال : **(إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)** ..

فهذا كله من دلائل ارتباط القرآن بالسنة من حيث التفسير بمعناه الذي لا ينفصل عنه التركيب ، ومواكبة علاقات المعرفة الانسانية ، بالحقيقة في جملتها وتفصيلها .

ولما كان العقل البشري لا يعرف الكل إلا من طريق النظر في أجزائه المرتبطة به ، فقد جعل الله التفرق الشكلي ، طريقا إلى ارتباط المعنى العام الذي تتصل به وجوه كثيرة من وجوه العلم الدالة على التفسير .

ويبدأ هذا المعنى من أول سورة الفرقان التي أودع الله فيها كل أسرار التفسير من أولها إلى آخرها سواء كان هذا التفسير خاصا بالوحي أو خاصا بالخلق .

يقول الله تعالى :

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان/١

وفي هذه الآية ربط واضح بين القرآن والسنة ، ولكنه ربط يقوم على المقاصد ، لا على التكوين الشكلي .

فقوله تعالى : **(تبارك الذي نزل الفرقان)** يبين لنا أن القرآن بتركيبه ومقاصده ، متنوع المباني والمعاني ، والتراكيب ، والمواضع ، فهو الفرقان الذي يفرق بين كل ما هو حق وما هو باطل ، بما يناسب استطاعة البشر ، وهي أنهم ينظرون في الأجزاء ، المتفرقة في أشكالها ، المترابطة معانيها ومقاصدها في عقولهم وأفكارهم .

أما قوله تعالى : **(على عبده ليكون للعالمين نذيرا)** فهو متضمن الاشارة إلى السنة التي هي تطبيق للقرآن في جملته وتفصيله ، على سائر أعمال الرسول وأقواله ، التي صدقت بها السنة قوله تعالى : **(ليكون للعالمين نذيرا)** .

ومما يدل على وجوه أخرى من هذه الحقيقة قوله تعالى :

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) الاسراء/١٠٦ .

أي بينا فيه الأحكام وفصلناه وقيل فرقناه أي أنزلناه مفرقا .

وفي هذا دليل جديد على أن ترتيب الرسول لآيات القرآن ، بعد أن نزلت مفرقة ، إنما هو من أعظم أعمال التفسير والبيان ، الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لآيات القرآن وسوره ، وقد تم ذلك بوحي من

الله تعالى ، وهداية من الله ، ولذلك حرم الرسول التفسير بالرأي حيث يقول :

« من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي

وكذلك فان قوله تعالى : (**ونزلناه تنزيلا**) أي جعل الله في هذا التفرق الشكلي حيث نزلت آيات القرآن منجمة ، طريقا إلى ارتباط المعاني القرآنية ، وارتباط كل وجه منها بما يتفق معه ، فاذا القرآن كله في جملته وتفصيله ، نور واحد ، وحقيقة جامعة ، ولكنه كثير المعالم ، بعيد الآفاق .

وعلى ذلك نقيس ارتباط السنة بالقرآن ، حيث تفرقا شكلا ، ليرتبطا مضمونا وغاية وحقيقة .

وكلام البشر ، الخارج عن كلام النبوة ، لا يدخل في هذا المعنى ، لأن مصادره مختلفة باختلاف أحوال البشر بين الصواب أو الخطأ ، والصدق أو الكذب ، والظلم أو العدل ، والثبات على الرأي أو التردد فيه .

أما كلام النبوة فهو وحي من الله كما يقول سبحانه :

(والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى) النجم/١ ـ ٤

وهذه الآيات تحتوى على وجوه كثيرة تبين لنا أن السنة وحي من الله ، وأن معاني القرآن ، ومعاني السنة ، لا يحيط بها في جملتها الحصر .

٢ ـ التأويل وخصائصه في القرآن والسنة

يبين لنا القرآن معنى آخر مرتبطا بالتفسير ، في حالة التلقي الذي نتلقاه من القرآن والسنة . وهذا المعنى هو التأويل .

والتأويل له في القرآن وظائف كثيرة ، لا نستطيع أن نحيط بها ، فحسبنا هنا أن ننظر في هذين الموضعين ، من مواضع التأويل في الآيات والسور .

يقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء/٥٩

١ ـ وقد جاء هنا ذكر الطاعة لله ولرسوله . وفي هذا ربط وتركيب بين القرآن والسنة في المصدر الواحد وهو الوحي الالهي ، ثم في الغاية وهي وجوب الطاعة لله ورسوله حيث يقول الله تعالى : (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) .

٢ ـ كما ذكر الله طاعة العلماء بكل مكان وزمان ، فان اختلفوا وتنازعوا في شيء فمرده إلى القرآن والسنة ، ومن ذلك قوله تعالى : (**فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**) .

٣ ـ كما ذكر الله الايمان بالله واليوم الآخر ، حيث قال : (**إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**). فأما الايمان بالله ففيه النجاة الدائمة من

كل ضلال ، وأما الايمان باليوم الآخر ، ففيه بيان الحركة المتواصلة ، والتجدد الدائب في احوال البشر ، مما يقتضي ان نعلم ان القرآن والسنة ، لن يسبقهما أي ابتداع للشرائع والأحكام ، التي يحاول البشر أن يجيئوا بها من عند انفسهم وليس لهم أي حق في ذلك ، كما بينت لنا هذه الآية تفصيلا .

ثم يقول الله تعالى في موضع قرآني آخر :

(وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) الاسراء/ ٣٥ .

وقد جاء بهذه الآية الربط بين التأويل وبين سائر امور الاقتصاد بكل مكان وزمان ، حيث عين الكيل والوزن ومنهما كل وسائل ضبط البيع والشراء ، وعليهما تدور سائر المعاملات الاقتصادية .

والقرآن والسنة ، قد جعل الله فيهما ـ معا ـ كل ما نحتاج إليه في ذلك .

ومن أراد أن ينظر إلى أهمية الربط بين التفسير والتركيب ، فليتأمل كيف جاءت هذه الجملة القرآنية : **(ذلك خير وأحسن تأويلا)** بموضعيها من سورة النساء ثم من سورة الاسراء ، وكيف أدى ذلك إلى تنويع المقاصد بكل من الموضعين كما رأينا ، ثم ربط الغاية منهما بوظائف التأويل .

وتأتي السنة ، فتواصل هذا التركيب ، حيث تضع لنا وظائف التأويل ، في صيغة عملية تطبيقية ، وذلك حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، في دعائه لابن عباس :

« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » رواه البخاري .

فقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن دعا له بالفقه في الدين ، وهو أمر يقتضي أن يرتبط فهمه بالقرآن والسنة والأحكام على كثرتها ، مما يدل على فهمه للتركيب بين الأجزاء ورد كل جزء منها إلى أصله .

ثم جاء بعد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (وعلمه التأويل) أى التفسير التطبيقي المتحرك الذي يرد كل أمر خاص ، إلى موضعه بين القضايا العامة التي تشمله وتحيط به .

ومن أهم خصائص التأويل في حدود العلم البشري ، أنه يقوم على الايمان والتذكر كما يقول الله تعالى :

(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) . آل عمران/ ٧ .

وقد سبق تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لمعنى هذه الآية ، التي تدلنا على عجز عقولنا البشرية عن الاحاطة بكل وجوه الحقيقة ، وإنما سبيلنا إلى فهمها لابد أن يجتمع له أصلان . هما الايمان والعمل كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فردوه الى عالمه) رواه احمد .

فالقرآن نور عظيم لا يحيط أحد منا بكل حقيقته ، وإنما حسبنا أن أيسر هذا النور ، تنكشف به كل الظلمات ، ويظهر به كل اليقين وقد جاء ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) ابراهيم/١ .

وهذه الآية بها من وجوه العلم ، مالا نحيط به ولكن حسبنا ان تتعلق هممنا بأيسر قدر من نورها العظيم ، وبذلك يتبدد كل ظلام ، ويظهر الحق على كل ما عداه .

٣ ـ البيان وخصائصه في القرآن والسنة

ومن المعاني الكبرى ، لارتباط التفسير بالتركيب ، أن ترتيب آيات القرآن قد جعله الله قائما على الوحي الالهي ، الذي تؤديه السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم .

ويظهر لنا ذلك في بعض وجوهه الهامة ، حيث ننظر في عدد من المواضع الدالة على البيان ، في القرآن الكريم .

فقد افتتحت الكلمات الدالة على البيان ، في أول موضع من مواضعها ، بسور القرآن ، بقوله تعالى :

(وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يؤمنون . إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) (١١٨ ـ ١١٩) البقرة

فتعلل الكافرين بأنهم يريدون أن يروا الله ، مردود عليه بأن الله شاء أن يبعث خاتم رسله للناس كافة .

وتعللهم بأنهم يريدون أن تأتيهم آية ، مردود عليه بأن الله شاء أن تأتيهم الآيات كثيرة ، لأنهم لا يستطيعون أن يدركوا مقاصد الوحي إلا بآيات كثيرة ، تتحرك معها عقولهم من جزئية إلى أخرى ، ثم تكون السنة هي التي تبين لهم ذلك كله ، في التطبيق العملي .

وهذا كله واضح في الآيتين السابقتين من سورة البقرة . فترتيب الرسول لآيات القرآن وسوره ، هو الذي يجعلنا نجد كلمة (**بينا**) في موضعها ، الثاني من سورة آل عمران ، بقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا)** .

وتستمر الآية الى قوله تعالى : **(قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)** آل عمران/١١٨ .

وننظر فنجد أنفسنا قد علمنا في الموضع السابق الدال على البيان في سورة البقرة أن البيان في مصدره الحق ، إنما هو من الله تعالى وحده ، وأنه هو الذي جعل السنة مرتبطة بالقرآن ، بيانا وعملا وتطبيقا .

أما الجديد هنا فهو التحذير من كل منافق عليم اللسان ، يحاول أن يفرق بين القرآن والسنة . والدليل على ذلك

أن الآيات في هذا الموضع من سورة آل عمران تتوالى حتى نجد قوله تعالى : **(وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)** آل عمران/١٣٢ ، ونستمر في القراءة حتى نصل إلى سورة الحديد ، فنجد فيها قوله تعالى : **(اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)** الحديد/١٧ .

وننظر في هذه الآية فنجدها تربط البيان بآيات الله الكونية بعد ما سبق من ربط البيان بآيات الله القرآنية ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا كله من دلائل ارتباط التفسير بالتركيب ، ومن أهم وجوه ذلك ، هذه الحركة الدائبة التجدد ، التي تزيدنا علما ، كلما ازددنا تلاوة للقرآن ، كما شاء الله تعالى أن يرتبه هذا الترتيب ، رسوله صلى الله عليه وسلم ، بهدى من الوحي الالهي .

ولنتأمل كيف جاءت الآيات بسورة البقرة تبين لنا مصدر البيان وهو الله تعالى .

ثم جاءت الآيات بسورة آل عمران تبين لنا كيف نحافظ على المجتمع الاسلامي متماسكا بكتاب الله وسنة رسوله .

ثم جاءت الآية السابقة بسورة الحديد تبين لنا ان الله جعل آياته الكونية ذات حظ خاص بها من البيان ، وهل القرآن والسنة ، وقد جاءا بالبيان النابع من الوحي الالهي إلا ونحن نعيش في صميم آيات الله الكونية .

فدل ذلك على أننا نحن البشر ، إنما تتصل معرفتنا ووجودنا ، بتفسير لآياته البينات ، على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وآيات الله الكونية ، التي يتجلى لنا فيها دائما الصدق التام في كل ما جاء به الوحي الالهي من قرآن وسنة ، فمهما نكتشف من حقائق العلم ، فقد سبقنا إليها الوحي إجمالا وتفصيلا .

وواضح ــ مع ذلك ــ أن لكل من القرآن والسنة والآيات الكونية تركيبه الشكلي الخاص به ، والذي يبين لنا كيف نطلب البيان والتفسير دائما من الله تعالى ، وبما يسر الله به لنا من وسائلنا المتفقة مع قدرتنا على البحث والتدبر ، في كل ما نحتاج الى تفسيره من أمور الدنيا والآخرة .

هكذا جاء ذكر البيان في القرآن بمواضعه الكثيرة ، وصيغه المتنوعة ، دالا على ارتباط التفسير بالتركيب . وهذا مما يدلنا على أن السنة في جملتها وتفصيلها ، هي بيان للقرآن في جملته وتفصيله .

يقول الله تعالى :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل/٤٤

وتأتي هذه الآية جامعة لكل أصول النظر الى فترات التاريخ وما فيها من دلائل الهداية الالهية بالقرآن والسنة .

وذلك لأن الله يقول : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)** .

والذكر يتم به الربط بين القرآن

والسنة ، وبين التفكر في ما مضى وما حضر وما سيكون في المستقبل من أحوال الحياة الانسانية . لذلك جاءت الآية السابقة بين آيات خاصة بالرسل السابقين .

فهذه كلها أمور معنوية ، ترتبط في بيانها وتفسيرها بالقرآن والسنة .

أما الأمور المادية ، فقد جاء ذكرها بالموضع الثاني لقوله تعالى : (**لتبين**) وقد جاء في هذه الآية من سورة النحل أيضا :

(**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**) النحل/ ٦٤ .

والاختلاف يبدأ من إعجاب كل ذى رأي برأيه ، وهو أمر مادي في المقام الأول لأنه يعود إلى العصبية ، على مستوى الأفراد أو الجماعات .

ويؤكد ذلك أن الآيات اتصلت بعد ذلك فبينت أمورا مادية كثيرة ، منها إنزال الله للماء ، ومنها تيسيره الغذاء للناس ، حتى جاء ذكر النحل وكيف يخرج من بطونها العسل .

ولنتأمل كيف تستقطب الكلمات الدالة على إنزال الله لآياته بكل صيغها ومواضعها ، ما يخص آيات الله القرآنية ، وآياته الكونية ، وفي ذلك خير بيان لارتباط التفسير بالتركيب ، سواء كان هذا التركيب خاصا بالوحي من قرآن وسنة ، أو كان خاصا بآيات الله الكونية .

والسنة تضع لنا هذه المعالم القرآنية ، في أسلوب عملي جامع ، ييسر للناس على اختلاف حظوظهم من العلم ، أن يدركوا التطبيق العملي للبيان .

ومن الأحاديث التي تحقق هذه الغاية قوله صلى الله عليه وسلم :

« الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه . ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .

وهذا الحديث من جوامع كلم الرسول صلى الله عليه وسلم ، التي توضح لنا التطبيق العملي الذي يتم به للناس جميعا ، بكل مكان وزمان ، التفسير والبيان ، لسائر أحوالهم الخاصة بدينهم ودنياهم .

وقد جاءت بهذا الحديث كلمة (متشابهات) في قوله : (وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس) فربط الرسول صلى الله عليه وسلم ، بين التشابه وبين الظنون التي يؤثرها أكثر الناس ، على الدليل الشرعي الذي جاء به القرآن والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة .

وجاء بهذا الحديث الربط بين الدين والدنيا حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم (فقد استبرأ لدينه وعرضه) ووجوه العلم في الحديث كثيرة ، وكلها يؤكد لنا ارتباط التفسير بالتركيب ، وارتباط السنة بالقرآن .



للاستاذ/توفيق محمد سبع

الاسلام في إطاره الشامل جهد متجدد ومستمر يزيد الحياة خيرا — ويمنح الانسانية تقدما ويحطم القيود التي تعتاق مسيرة البشر نحو غد أكثر تفاؤلا وإشراقا .. ذلك أن هذا الدين يستطيع أن يتقدم بالحياة بما لا يمس جوهره وأصوله الثابتة ، إذ أن هناك أساسين واضحين ينبغي التنبه إليهما والحفاظ عليهما حتى يمضيا في خطين متوازيين لا يطغى أحدهما على الآخر .. **الأساس الأول :** الأصالة المتمثلة في شريعة هذا الدين .. تلك الأصالة التي تحفظ عليه شخصيته .. وتجعل له طابعا متميزا **والأساس الثاني :** هو التجدد الذي يتفاعل دائما مع الحاضر محاولا أن يربطه بروح الشريعة متجها به نحو مستقبل كريم للبشرية ..

ومعنى ذلك أن نفرق دائما بين الشريعة والفقه فلا نخلط بينهما في تفكير أو تعبير .. لأن الشريعة هى وحي الله الخالد ... الذي تستقى منه الأحكام .. وتستمد القوانين والدساتير الملائمة لروح العصر .. والمطابقة لمصالح البشر ..

وهذا الاستمداد عملية عقلية

صرفة ... أي أن على العقل البشري أن يمضي مع تيار الأحداث المعاصرة مستهديا بالقرآن والسنة .. مجتهدا ما وسعه الاجتهاد لأن القرآن ليس موسوعة قانونية فيها كل الأحكام والقوانين .. بل إنه يتعرض للخطوط العامة وأمهات المسائل تاركا للعقل البشري أن يستمد منها ويقيس عليها ويستنير بها .. ليجد الحلول الملائمة للمشكلات الحاضرة .. ولقد نما الفقه الاسلامي وازدهر في رحاب الشريعة واستمد ما ينفع الناس ، ويثرى روح التجديد .. وكان فقها دقيق الصياغة واسع الآفاق .. فسيح المجال قابلا للنماء تمده شريعة ثابتة وتتحرك به في الاتجاه السديد .. وفي الاطار الملائم دون أن يتجاوز تلك الشريعة أو يخرج عليها .. كما تحدد الشطآن القوية حركة التيار المائي بين جوانبها كيلا ينساب انسيابا فوضويا .. فيتبدد بين الصخور والرمال . ولدينا شريعة كاملة تغطي احتياجات الناس من المهد إلى اللحد .. بل إنها تضع الأحكام للجنين وللحمل وللطفولة وللمرأة وللرجل وللخنثى .. ولدينا في تشريعنا المتطور أحكام للانسان الراشد منذ يقوم من نومه إلى أن يؤويه الفراش .. وهي أحكام تستوعب كل حاجاته وضروراته .. إذا مشى فبنظام ، وإن أكل أو شرب فله آداب وأحكام ، وإذا سعى أو عمل ففي إطار .. وإن ناقش أو جادل فبقوانين .. وإذا استبرأ أو اغتسل فله أسلوب .. ونتحدى أن يوجد تشريع مستوعب لكل أمور الحياة كما يوجد في تشريعنا ، وهناك في كتب الفقه مسائل فرضية لتغطية ما يجيء به الزمان ..

ولقد استطاع فقه الامام مالك رضي الله عنه بهذه الخاصية الفريدة أن يثرى القانون العالمي كله ، وقانون فرنسا بالذات .. عندما اتصل الفرنسيون بالمدارس الفقهية في الأندلس وغيرها فنقلوا مجموعة من الأحكام الفقهية إلى لغاتهم ، ولم تكن أوربا يومذاك على نظام محكم أو قوانين منظمة ، **حتى إذا كان** عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى الفرنسية لشدة إعجابه بضبطه ودقة صياغته ــ ومن أوائل هذه الكتب كتاب خليل الذي يعتبر نواة القانون المدني الفرنسي ــ والذي جاء بعد الترجمة صورة مطابقة تماما لفقه المالكية ، يقول « سيديو » المفكر الفرنسي : « والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا على الخصوص لما لنا من صلات بعرب افريقيا ــ ولقد عهدت الحكومة الفرنسية إلى دكتور « بيرون » في أن يترجم إلى اللغة الفرنسية كتاب المختصر في الفقه **للخليل بن إسحاق بن يعقوب** المتوفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بعد الألف من الميلاد .. » .

ولقد رشح الفقه الاسلامي ليكون قانونا عالميا .. لما فيه من شمول ودقة .. ولما له من عراقة وشخصية **يقول الدكتور فرج السنهوري** في بحث نشرته له الجامعة العربية متحدثا عن هذا المعنى : « الفقه

الاسلامي فقه محض لا تقل عراقته في ذلك عن عراقة القانون الروماني ، لا يقل عنه في دقة المنطق ، ولا في متانة الصياغة ، ولا في قابلية التطور ، وهو مثل صالح لأن يكون قانونا عالميا ، بل كان بالفعل قانونا عالميا يوم امتدت دولة الاسلام من أقاصى البلاد الآسيوية إلى المحيط الأطلسي » .

ثم استطرد يقول : « ويجب الاهتمام باحياء الفقه الاسلامي وفتح باب الاجتهاد فيه ، وإن ذلك وحده كفيل بأن ينشئ قانونا عالميا يكون مستمدا من الفقه الاسلامي مسايرا لروح العصر **ولقد أتاح لي** اطلاعي على نصوص الفقه الاسلامي سواء أكانت مقننة ــ أم كانت معروضة عرضا فقهيا في أمهات الكتب وفي مختلف المذاهب أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابداع وما يكمن فيه من حيوية وقابلية للتطور » .

وأقول : إن مقارنة الفقه الاسلامي بالفقه الروماني في العراقة والأصالة مقارنة لا أستحسنها فأين يقع الفقه الروماني بحجمه الضيق ومساحته المحدودة ... وأخطائه الكثيرة واستناده في جملته وتفصيله إلى العقل الذي يخطئ ويصيب .. أين يقع هذا الفقه من فقه واسع المساحة مستوعب المقاصد .. تمده شريعة ثابتة .. وتحفظه من التسيب والشرود .. وتضفي عليه قداسة السماء ؟!.. وهذا عتب موجه لكل من يحلو لهم هذه المقارنة .

وإذا كنا ندعو بحرارة إلى فتح باب الاجتهاد وتوسيع مجاله لملاحقة ما يجد من قضايا العصر .. كما اجتهد الماضون في قضايا عصورهم ــ فاننا نؤكد هنا أن يظل الاجتهاد في إطار الهيئات العلمية .. والمجامع الفقهية .. وألا يصبح فرديا يخضع لضغوط الحكام ، وشهوات المستغلين .. وحين يزدهر الاجتهاد على هذا النحو .. فسوف نظفر بالأحكام التي تهدي الحيارى إلى الحق ، وتربطهم بالشريعة ، وترعى جانب التجدد .. الذي يعصم من التقوقع والجمود .. فيطرد سير الحياة .. ويمضي ركبها المبارك على صراط الله . وتظل المدنية الاسلامية معبرة عن طابع التحرك والتوثب وملاحقة الأحداث الكبيرة .

ومن العجيب أن يصدر كلام رائع في هذا المقام عن رجل أوربي فرنسي هو المستشرق المعروف (رينان) فيقول : « وما يدرينا بأن يعود العقل الاسلامي الولود والكثير المواهب إلى إبداع مدنية أروع من زميلتها الأوربية .. بل ما يدرينا ما عساه أن يصبح بعد قليل مصير المدنية الأوربية الحالية **التي هى وليدة التمدن** الاسلامي القديم في خصائصها العليا » .

ما مغزى هذا الكلام ؟ إن الرجل يذرف الدمع على مأساة التحجر العقلي التي منى بها الفكر الاسلامي في عصور التخلف ويمنى نفسه بأن يعود لهذا العقل طابعه المميز في التجديد والازدهار حتى ينقذ العالم من قوانين

الفساد والظلم ، التي تتمثل في مدنية الغرب .. تلك المدنية التي إستمدت حضارتها العليا من حضارة الاسلام .. وهذا التفتح في العقلية الاسلامية .. وتلك المرونة في الفقه الاسلامي جعلت هذا المستشرق بالذات يقف من حضارة الاسلام موقف الحقد في موطن آخر حيث يقول : « ما دخلت مسجدا قط إلا تملكني نوع من الحقد على أني لم أكن مسلما » !!

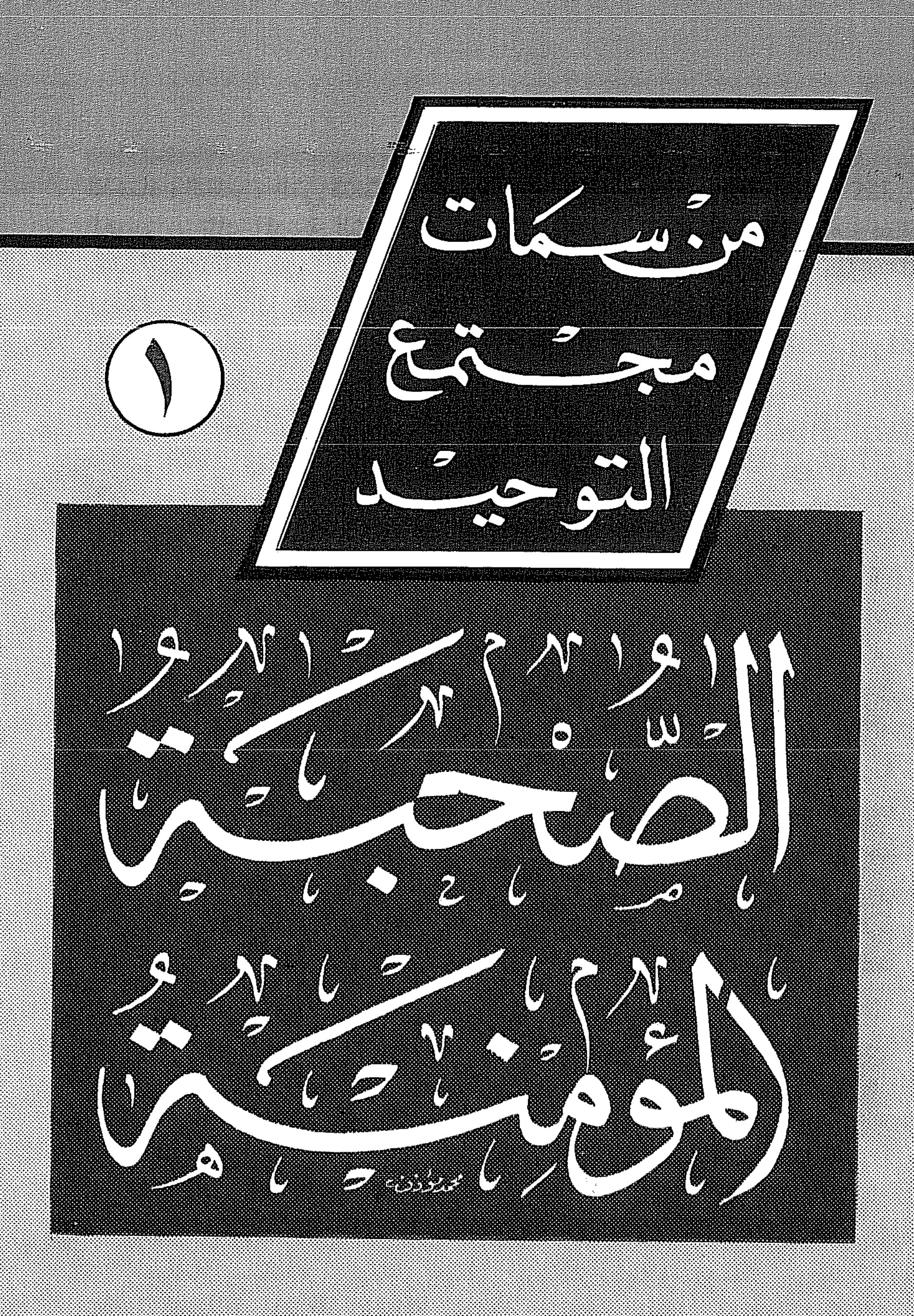
وإنها لتصريحات تحمل الحقيقة في كثير من الأحيان .. على حين أنها تحمل الحقد في أعماقها ضد هذا الدين وأهله .. ومن خلال هذين التصريحين يعتبر « رينان » مزدوج الشخصية .

ولقد نرى الحرارة والاخلاص في كتابة الفيلسوف المسلم « **إقبال** » حيث يقول : « الرأي عندي أن تفسر أصول المبادئ التشريعية تفسيرا جديدا على هدى أحداث العصر وفي ضوء تجاربه ــ وإن حكم القرآن على الوجود بأنه خلق يزداد ويترقى بالتدريج يجعل لكل **جيل الحق في أن يهتدي** بما ورثه من آثار أسلافه **من غير أن يعوقه** ذلك عن مشكلاته » .

ويقول العلامة المودودى : « من من المسلمين يستطيع أن يجحد فضل الأئمة الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين رحمهم الله ؟ ولكنهم على أي حال كانوا بشرا وكانوا يملكون من اكتساب وسائل العلم ما هو حاصل لعامة بني آدم ولم يكن يأتيهم الوحي وإنما كانوا يستعملون عقلهم وبصيرتهم ليسبروا غور كتاب الله وسنة رسوله .. واجتهادهم هذا عون لنا ونور يسعى بين أيدينا .. لنعمل كما عملوا .. ولا يمكن أن يكون اجتهادهم قانونا أبديا وقاعدة حتمية » .

إن لنا عقولا تستطيع في ضوء المصادر العليا للتشريع أن تهتدي إلى الأحكام .. وبخاصة فيما يجد من مشكلات ليظل لهذا الدين طابعه المميز من الأصالة الممثلة لعنصر الثبات في شريعته .. ومن التجدد الممثل لعنصر المرونة في فقهه .. أي **أن الشريعة** كمصدر أصيل للفقه لا تتغير ولا تتبدل لأنها وحي الله .. الذي يعطي الأحكام العامة تاركا للبشرية أن تكيف سلوكها في هذا الاطار بما تهتدي إليه من أحكام .. وهذا التكيف مع الحياة .. والتجدد مع الأحداث **هو الفقه** الذي هو صياغة قانونية محضة .. وعمل عقلي صرف ..

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .. تلك هي شريعة الله في نمائها وتطورها ليست جمودا رجعيا .. ولا فكرا فوضويا .. وإنما هى تجدد في إطار الكتاب والسنة .. يحفظ على الحياة جلالها .. ويصون كرامتها ومجدها .. ويوفر أمنها وسكينتها .. وتجد فيه البشرية حياة كريمة ، لا فرق بين دين ودين ، أو بين ملة وملة ، فهل آن أن يتحمس الحكام المسلمون لتطبيق شريعة الله كمنهج شامل للحياة ؟ ذلك ما نرجوه .. وما هو على الله بعزيز .



للدكتور/عبد الفتاح محمد محمد سلامة

لا يسع الانسان الحصيف (اذا هو طوف بالآفاق القرآنية المتراحبة ، وتكشفت له عن جوانبها الشفافة الباهرة ، التي تحكي اتساق الكون في بهائه وجماله) الا ان يهتف عن بصيرة واعية بأن هذه الافاق إلهية في صبغتها ، ربانية في تكوينها ، علوية في مدلولها ، متسامية في غاياتها ... فهي كما وصفها رب العزة في قوله تعالى :

(وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) الشعراء / ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤

أجل : فقد نزل القرآن ليعيد صياغة الكون والحياة من جديد ، ويبني الانسان المستخلف على ظهر هذه البسيطة بطريقة فذة ، وبأسلوب رباني فريد ... وذلك ليتيح للبشرية ان ترى المصحف يصب في نهر الحياة ، وترى الحياة وهي تستقي من نبع الله ، وترقب المصحف والحياة معا يتعانقان في حفاوة وجلال :

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) البقرة / ١٣٨ .

ومجتمع الايمان في عهد محمد النبي : احدى روائع القرآن الماجد ، التي نفح بها الكون ، وعطر بسيرتها فم الحياة ، فاذا رمنا الحديث عن هذا المجتمع من مجتمعات البشر ، فكأننا نكلف انفسنا اقتلاع جبل « أفرست » ... الذي يقال انه اكبر جبال الدنيا ، أو نبغي استنزال الثريا من مكانها الرفيع ... وما بالك بأمة يتحدث عنها ربها في بيان عجيب فيقول :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران / ١١٠ .

هي أمة في مجتمع ، ومجتمع في أمة ، انصهر في بوتقة الايمان فاصبح يمثل خير قطعة تفطر عنها قلب الطبيعة ، او كما وصف ابناءه اديب الاسلام : « مصطفى صادق الرافعي » فقال :

« لقد دارت الأرض في تاريخها ثلاث مرات ، فمرة دارت حول نفسها ، ومرة دارت حول الشمس ، ومرة دارت حول اصحاب محمد بن عبدالله » ... واذا كان القرآن يصف مجتمع محمد بن عبدالله فيقول :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح / ٢٩

فان تحليق اليراعة سيكون هذه المرة في الآفاق التي يدور فيها الشق الأول من الآية والتي يبرز فيها مدى التلاحم بين القائد وجنوده .

(محمد رسول الله والذين معه) ... والحديث هنا عن أنبل وأعظم وأسمى شخصية سمع بها الزمن ، فوقف خاشعا لجلالها وبهائها وكمالها ... انه محمد العظيم ، الذي جاء الى الحياة فأعطى ولم يأخذ ، انه الذي رعى قضية الانسان ، وزكى سيادة العقل ، انه صاحب القلب الكبير ، والعقل البصير ، انه الانسان

النبيل الذي لم تند عنه شاردة من آمال الانسانية وآلامها ، الا لباها ، انه الانسان الرحيم المتواضع الذي يجلس كما يجلس العبد ، ويأكل كما يأكل العبد ، والذي يصيح بين اصحابه : « اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يفعل الاعاجم يعظم بعضهم بعضا » البخاري . والذي قال لرجل هاله وقاره وجلاله فارتاع وداخله الخوف : « هون عليك فاني لست بملك ، وانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة » . مسلم .

إنه الانسان العزيز الذي كان يخاطب ملوك الأرض ، وهو في الوقت ذاته يستمع في حفاوة ورضا لأعرابي جاف جلف يجذبه من ردائه حتى يؤثر في عنقه ويصيح به : « اعدل يا محمد فليس المال مالك ولا مال ابيك » .

إنه الانسان الذي تعاظم على الحوادث ، وتسامى فوق النكبات ، وتعالى على المحن ، ووقف معتزا بالله العزيز ، حتى بهر الدنيا شأنه ، وأسر الوجود خلقه ... والا فقل لي بربك : ماذا تقول في انسان وصفه الذي يعلم السر واخفى فقال : **(وإنك لعلى خلق عظيم)**القلم / ٤ **(محمد رسول الله)** أجل !! انه رسول الله .. واذا اجتمع محمد الانسان مع محمد الرسول .. فقد تناهى الأمر عظمة وجلالا :

كأنـــه وهـــو فرد من جلالته	في عسكر حـين تلقـاه وفي حشم
دع ما ادعته النصـــارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فمبلـغ العلـــم فيـــه انـــه بشر	وأنـــه خـــير خلـــق اللـــه كلهم

والنص الكريم هنا يخلع عليه هذه الصفة العالية الجليلة ، ويدثره بتلك المنقبة الغالية ، ويضفي على مقامه المنيف هالة الرسالة الخالدة ، انه رسول الله ومبعوث العناية الالهية للأخذ بيد البشر على طريق الله ، فكان صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه نموذجا فريدا شامخا في سلوكه ، دعا الى ربه كما لم يدع أحد ، وحارب كما لم يحارب احد ، وعبد كما لم يعبد احد ، حتى تورمت قدماه من قيام الليل ومن كثرة تهجده ، وعندما سئل : يا رسول الله هون على نفسك فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... أجاب سائله تلك الاجابة الباهرة : « أفلا أكون عبدا شكورا » مسلم والبخاري

إنه الرسول الذي حمل أمانة التبليغ في اخلاص وتجرد ، وفي عزيمة ما عرفت الضعف ، وارادة لم يتطرق اليها الوهن ، بل انه ليقف أمام عمه أبي طالب في اعتداد وكبرياء ، أعزل إلا من الايمان ، وحيدا الا من اليقين ، يتحدى باطل القوم ، ويعلن رغم انوف الجميع انه ماض في طريقه حتى النهاية .

« والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه » سيرة ابن هشام .

ويمضي الرجل العظيم في سبيله غير هياب ولا وجل ، يصدع بدعوته ، ويناطح

بها رؤوس الشرك وارباب الكفر ، فاندكت بقوته صروح الطغيان ، وتقوضت بحرارة ايمانه معاقل الظلم ، وتهدمت بسواعده عروش البغى ، وفتح الله به قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا ، وأقام ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأول مرة في تاريخ البشرية ، دولة التوحيد على دعائم متينة من الايمان والأخوة النادرة ، التي ذهبت مثلا عاليا في التاريخ الانساني كله ، واصبحت انشودة معطرة يسمعها الدهر ، ويتشنف بها الزمن ، ويعزفها على قيثارته لحنا ابديا آسرا يهز الوجدان ، ويرقي الشعور ، ويملك نواصي الأفئدة ... انها الأخوة التي اصبح فيها المهاجر أخا للانصاري يرث كل منهما صاحبه ، بدون ان يكون بينهما نسب من دم ، أو وشيجة من قرابة أو رابطة من مصاهرة ... اللهم الا صلة الاسلام ، ومودة الايمان التي عبر عنها الصديق عليه سحائب الرحمة والرضوان ... عندما قال :

« ان مودة الاسلام اعظم من مودة القرابة » ... والتي نوه بها الشاعر الخنذيذ عندما أرسل هذا البيت :

أبـــي الاســـلام لا أب لي سواه ـ إذا افتخـــروا بقيس أو تميم

هذه المعجزات كلها ، وما منها الا ما هو باهر وعجيب ، قام بتحقيقها استاذ الدنيا ، ومعلم الحياة محمد رسول الله ، في صبر وثبات ، وايمان راسخ ، وعزم صادق يفل الحديد ، ويذيب جلاميد الصخر ، وما كادت تلكم المعجزات تلامس الفطر السليمة بين اتباع محمد ، حتى احدثت فيها تغييرا جذريا ، فاذا هي تتمخض عن احداث هائلة ، ومواقف صادعة ، وسيرة مشرفة ، وانحنت لها هامة الوجود ، وخشعت لها جوارح الزمن ، فلقد فنيت هذه الفطر القويمة في سبيل العقيدة ، وراحت تبين للناس نوعا من عظمة الايمان ، استعلى على الطبائع الانسانية ...

فلقد شوهد أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وهو يدفع في اقفية المبطلين ، يوم « بدر » ... يوم تحزب الباطل ، وتحالف انصاره ــ شوهد ابو عبيدة يكشف بسيفه سواد المشركين ، وهم يحذونه ويجانبونه ، الا رجلا واحدا كان يتصدى لأبي عبيدة ! ! ــ وأبو عبيدة يصدف عنه ... فلما برم به ، والرجل لا يزال ملحا في مواجهته ، استوحى ابو عبيدة يقينه ، واهوى بسيفه ، فشج رأس هذا المتصدى له ... اتعلم ايها القارىء العزيز : من المقتول ؟ ؟ انه عدو الله ... انه والد أبي عبيدة ... يالله ... ما اعز العقائد وما اعلى الحق ... فيا لعزيمة المؤمنين ... ويالجلال الايمان ...

ولد يقتل الشرك في شخص ابيه ، وينتزع وشيجة القرابة ، ابقاء على وشيجة القربة ... للدين وللعقيدة ...

إنها ــ والله ــ لمحنة المعتقدين ، واختبار المستيقنين ، وانه لصنع حري بأن

يقدره الوحي الالهي حق قدره ، ولقد سجل الكتاب المحفوظ الخالد ، هذه العظمة المؤمنة ، فقال عز من قائل :

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) المجادلة / ٢٢

والذي قام بهذا التحول الخطير في النفوس انما هو سيدنا ومولانا رسول الله ... وهو بهذه المرشحات الشخصية ، وتلك المواهب الربانية التي غمره بها رب العالمين ، صار مؤهلا لأن يحمل لواء الدعوة العالمية الخاتمة الخالدة ، التي ما عرف التاريخ ابر ولا اقدس ولا انبل منها ... بل انه قمين بأن يكون زعيم الرسل وامير الانبياء ، وواسطة العقد ، والدرة اليتيمة التي لن تظفر بمثلها بين ابرز القادة والمصلحين ، مهما اضناك البحث ، وانصبك التنقيب ... ومن هنا كانت كلمة الله لمحمد اولا ، واصطفاؤه له سابقا ، وكان الميثاق الالهي الذي تعهد الله به ، والزم به الانبياء أنفسهم ، أن يؤمنوا بمحمد ، ويعترفوا بنبوته حتى تدرج اسماؤهم في سجلات المصطفين من عباد الله الأخيار :

ويبلور القرآن هذا التكريم السابغ لمحمد بن عبدالله فيقول :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران / ٨١ .

ويقول الرسول الأمين متحدثا عن نفسه بنعمة ربه :

« كنت عند الله نبيا وان آدم لمجدل في طينته » رواه مسلم .

ونضر الله وجه الامام البوصيري ، حيث هتف في همزيته العصماء بهذه الأبيات مادحا خير الورى محمدا :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد ... حال سنا منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

(والذين معه) هنا يتحدث الذكر الحكيم عن الجماعة التي رباها مولانا رسول الله ، والسياق هنا يجري سلسالا كالماء العذب ، شأن القرآن الكريم كله في أساليبه الساحرة . فالحديث عن القائد اولا ، وابرازه في اطاره الانساني المهيب ، حتى تتعلق به النفوس ، وتتوجه اليه الأنظار ، فهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، ثم يليه الحديث عن اتباعه وجنوده ، الذين تخرجوا في مدرسته الشامخة الرائدة **(والذين معه)** بالله ما أسمى هذا التعبير وما ابهى نضرته !!! ولكن كيف ذلك ؟؟

إن اصحاب محمد كانوا خير ثلة انبثق عنها فجر الزمان ، بل هم قدر الله

الغالب الذي غير به العالم ، وكتب به للانسانية ميلادا جديدا ، ولقد كانوا يمثلون للحياة عافيتها ، وللدنيا شمسها ، وللبشرية سعادتها وامنها ... وان المعجزة لتبدو جلية واضحة في هذا التحول الرهيب الذي احدثه محمد نبينا ، في نفوس باض فيها الكفر وافرخ ، وقلوب كأنها الحجارة صلادة وقسوة ، وهمم قعساء الا عن التعطش للدماء ، حتى صدق عليهم قول القائل :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا

ولكن سرعان ما مسهم محمد الرسول ، بعصاه السحرية فحول مواتهم الى حياة متحركة متطورة ، وبدلهم خلقا آخر ، فاصبح الواحد منهم يحمل بين حناياه عقيدة ماضية اشد رسوخا من الأطواد الراسيات ، وقلبا جسورا يحمل كلمة الله ، ويقتحم بها المخاطر والصعاب لينشرها في الخافقين ، لا يبالي اوقع على الموت ام وقع الموت عليه ، فهو يرسلها صيحة مدوية عبر الزمان ، تتخطى الحدود ، وتجتاز السدود ، وتبلغ بقوتها وزمجرتها عنان السماء :

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ومن ثم ، فان عصابة التوحيد ، غدا أفرادها في حلبة الميدان ، قادة أشاوس ، وزعماء أماثل ... وصار حداة الابل ورعاة الغنم ، حكام شعوب وساسة امم ... حتى انجب التاريخ منهم من كانت ترتعد فرائص الملوك لذكره مهابة واجلالا من أمثال ابن الاسلام البار عمر بن الخطاب وحفيده العظيم عمر بن عبد العزيز ، ومن كان يتحدى السحابة الجون في اديم السماء فيقول لها :

« أيتها السحابة أمطري حيث شئت فلا بد ان يصلني خراجك » ...

هؤلاء هم اصحاب محمد الغر الأماجد ، الذين كانوا يذوبون شوقا اليه ، ويتلهفون على رؤيته ، وان سعادة غامرة تسري في أوصال الواحد منهم اذا اكتحلت عيناه بنظرة الى محيا النبي العظيم ، حتى ان احدهم وهو « ثوبان » خادم الرسول الجليل ، ينحل جسمه ويصفر لونه ، ويعتريه الهم ، ويبصره النبي الكريم ، كاسف البال ، فيسأله : ما لي اراك مهموما ؟ ويجيبه ثوبان : اتذكر مكانك في الجنة يوم القيامة ، واني سأكون في درجة اقل من درجتك فاخاف الا اراك فيعتريني ما ترى » .

حينئذ تنزل آيات بينات من القرآن تفصل في القضية ، ويا لها من قضية :

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله

وكفى بالله عليما » النساء / ٦٩ و٧٠

ومع تحرقهم شوقا اليه ـ صلوات الله وسلامه عليه وآله ـ فلم يكن الواحد منهم يستطيع ان يحد النظر اليه تعظيما له ومهابة منه . لأن نور النبوة وجلال الرسالة يخلعان على النبي العظيم حللا من الوقار والبهاء والجلال ، فمن جالسه مرة هابه ، ومن رآه بداهة عرفه . ونحب أن نلفت النظر هنا الى ان التعبير **(والذين معه)** بلغ من الدقة اقصى مدى ، فليس المقصود بالمعية هنا ، المعية المكانية فحسب ، كلا ، فالمعية هنا تشمل المعية المكانية والروحية أو الأدبية معا ، فهما متلا زمان في سلوك اصحاب محمد ، فهم لم يكونوا معه جسما ومكانا فقط ، والا كانوا بعيدين عن مفهوم الصحبة الأصيلة وملتزماتها ، وهذا ما لم يرب محمد اتباعه عليه .

فالمقصود ، أنهم كانوا معه قلبا وقالبا ، جسما وروحا ، مشاعر وسلوكا ، بواعث واهدافا ، فكرا وعقلا ، صبغة واتجاها ، فلقد شكلهم محمد الجليل تشكيلا خطيرا سداه الايمان ولحمته الاسلام ، فاصبحوا يتبادرون اليه ، ويفدونه بالمهج والأرواح ، ويتعرضون للمخاطر دونه حبا وايثارا ، وتضحية وفدائية منقطعة النظير .

ويرحم الله أحدهم عندما سئل وهو مصلوب في سبيل عقيدته : « أتحب ان يكون محمد هنا في مكانك تضرب عنقه وانت سالم في بيتك ؟ » فأجاب الصحابي النابه الجليل نضر الله وجهه : « والله ما احب ان أكون في مكاني هذا ، ومحمد في مكانه تصيبه شوكة فتؤذيه » .

وهذه الاجابة الملهمة : جعلت رأسا من رؤوس الكفر يصدع بهذه الحقيقة فيقول : « والله يا معشر قريش : لقد ذهبت الى كسرى وقيصر وهرقل فما رأيت احدا يحب احدا، كما يحب اصحاب محمد محمدا ... » ...

انه الايمان الذي يفجر في القلوب اصدق العواطف وانبل المشاعر ، وازكى الأحاسيس . فلله الفضل والمنة . ولقد عرف الرسول الأمين لأصحابه ـ اعلام الهدى ومصابيح الظلام ـ قدرهم ، ورفع منزلتهم ، وحلق بها في سماء الكمال ، فقال : « اذا ذكر اصحابي فأمسكوا » رواه الطبراني

وبهذه الروح الطيبة والتلاحم الكبير بين القائد وجنوده ، امكن لمحمد بن عبدالله ان يكون مجتمعا اصبح فيما بعد ـ وبكل المقاييس الاجتماعية ـ معجزة المجتمعات العالمية كلها على اختلاف القرون وتوالي الاحقاب .

ومن هنا فان هناك كلمة نوجهها الى أبناء الاسلام حكاما ومحكومين ، رعاة ورعية : يجب ان تزول الفوارق ، وتذوب الحواجز التي تفصل بين الراعي ورعيته ، والقائد وجنوده ، والرئيس ومرؤوسيه حتى يصبحوا كما قال الرسول الحبيب : « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » . رواه البخاري وغيره .

وان بدعة الانفصال بين الحاكم والمحكوم ، ليس لها في القرآن ظل ، ولا في

الاسلام وجود . وان امانة الحكم في شريعة الكتاب العزيز لمن اخطر الأمانات ، وأعظم المسئوليات ، لأنها تتمثل في خدمة المسلمين ورعاية مصالحهم ، فمن وفى لها ، فهو احق بها ، ومن خان فيها ، باء بغضب من الله ، ووجب على الجماهير الاسلامية الزاحفة ان تقدم له النصح اولا فان لم يرعو ، قلمت اظافره ، وخضدت شوكته ... وقديما قال الشاعر :

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

ورحم الله ابا بكر الصديق عندما اعلن في أول خطبة له إثر توليه الخلافة :
« أيها الناس ! ! اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

إن فلسفة الحكم في ديننا الخالد العظيم تتمثل في هذا الالتحام الكبير بين الأمة وقائدها ، والنصح لها ، والتفاني في حل مشاكلها ، والسهر على راحتها ، وقدس الله روح عمر بن الخطاب عندما خاطب اصحابه ذات يوم فقال :
« من وجد في اعوجاجا فليقومه »

فنهض رجل وقال : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فقال عمر : « الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بالسيف » .

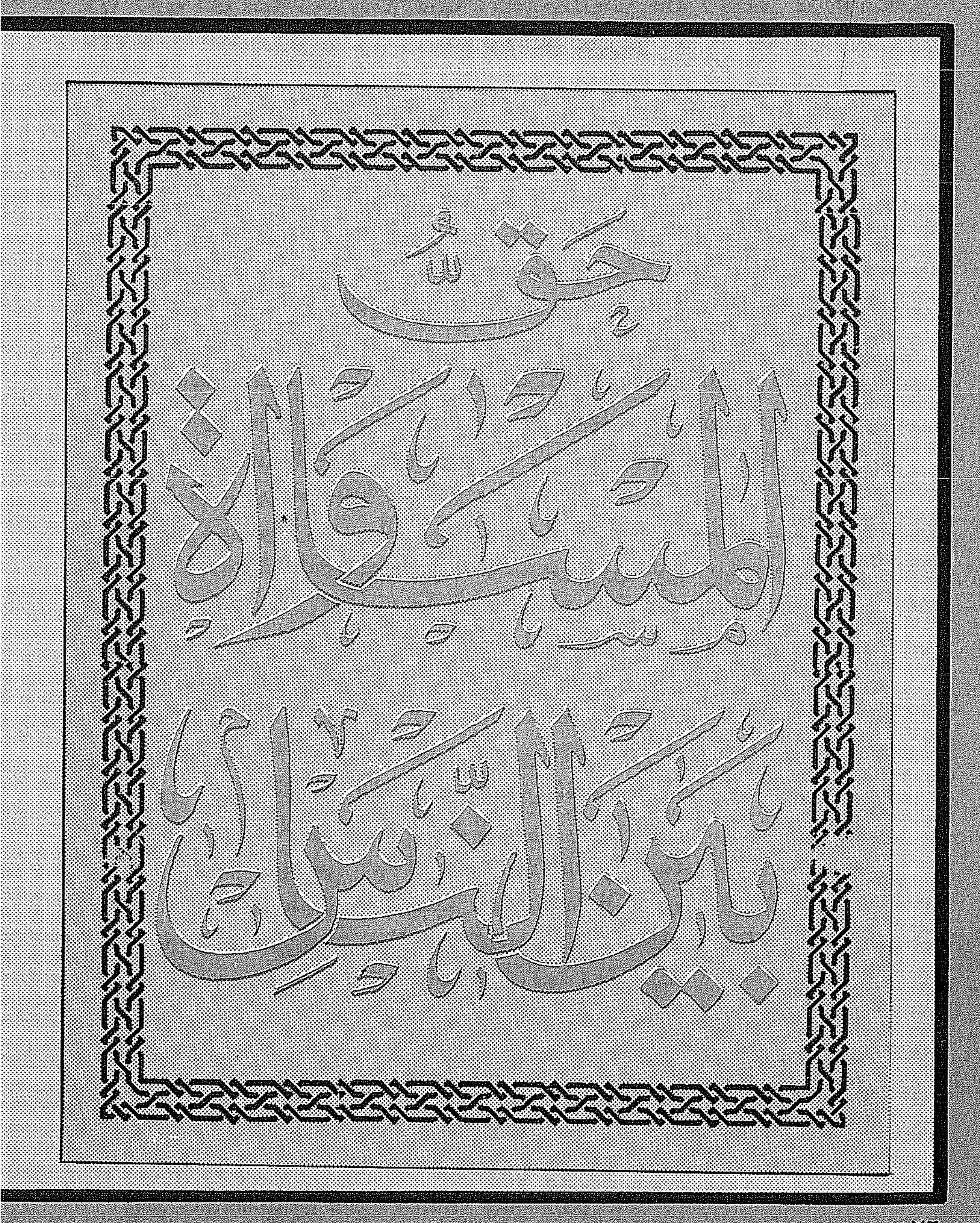
هذه قيم مشعة ، ومبادىء عالية ، ودساتير جامعة تنهض بها الأمم ، وتسعد بها الشعوب ، ويكتمل بها بنيان الحضارة . وهي كلها مأخوذة ومقتبسة من وحي التعبير القرآني المجيد :(**والذين معه**) .

أرأيت !!! كم تحمل هذه الكلمة الفذة العملاقة:(**معه**) من طاقات خلاقة وشحنات مبدعة ؟ ؟ وكيف عاش الرعيل الأول من ابناء الاسلام في ظلالها يستمدون منها مقومات الفلاح ، وعناصر الفوز والنجاح ؟؟ .

ان العالم الاسلامي سيظل مفكك العرى ، واهن القوى ، لا حول له ولا طول ، يحطمه التأخر ، ويقضي عليه التخلف ، الا اذا توجه بكليته الى تعاليم القرآن ، وعاش في ظلال حضارته الربانية ، واستلهم الرشد واستقامة القصد ، من مدرسته الرائدة التي ربت جيلا ، وكونت مجتمعا ، وخلقت شعبا ، فاق النجوم في مداراتها ، وجاوز الكواكب في ابراجها رفعة وعلوا .

وليصغ مجتمع الاسلام الى صوت البشير النذير يتحدث اليه من ضمير الغيب :
« يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ... قال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب اعدائكم المهابة منكم ، وليرزقنكم الله الوهن .. قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » رواه ابو داود .

وفق الله المسلمين لسيادة الدنيا وعزة الدين .


حق
المساواة
بين الناس

للدكتور/وهبه الزحيلي

ان الحملة الحضارية الانسانية الشاملة التي اقترنت بالاسلام اقتضت اقرار كل المبادئ الخلقية الاصيلة ونبذ كل مظاهر التخلف والتعثر والرجعية والتفرقة الظالمة بين ابناء البشر دون اعتماد على ميزان معقول او حساب صحيح للنتائج .

ومن الأصول الحضارية للاسلام ومنهجه الديمقراطي في الحياة السياسية والاجتماعية اعلانه مبدأ المساواة التامة دون تمييز بين الناس بسبب الجنس أو العرق ، او اللون او النسب ، والحسب ، أو الدين ، أو المنصب والجاه وسلطة الحكم ، أو السن ، أو الغنى والمال أو المحبة والبغض وذلك تجاوبا مع نزعة الاسلام العالمية وعموم رسالته للبشرية واعتبار تنظيماته وشرائعه رحمة للعالمين .

ومن أهم مظاهر المساواة اجمالا ثلاثة أمور :

١ ـ **المساواة في القيم الانسانية المشتركة :** أي لا تفاضل في الاجناس (فالجنس الآرى والحامي والسامي كلها سواء) ولا تفاضل في الألوان (فالأبيض والاسود والأحمر والأصفر على حد سواء) ، ولا تمييز في الانساب والاحساب (فالشريف والوضيع لهما حقوق متساوية) وبذلك الغي الاسلام نظام الطبقات وحارب العنصرية البغيضة ، والعصبية الكاذبة الحمقاء واهدر نظام الاسر الراقية والألقاب الفارغة وسوى بين دماء الناس ، فليس هناك دم أزرق نبيل وآخر عادي من دماء العامة .

٢ ـ **المساواة امام القانون والقضاء وفي تكافؤ الفرص :** يعني أن الناس جميعا متساوون في التكاليف والالتزامات العامة والحقوق وفي نطاق الجريمة والعقاب وفي مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة للعمل والتوظف ونحو ذلك .

٣ ـ **المساواة في جزاء العمل :** فمادام الاشخاص متكافئين في العمل ، فهم يستحقون اجرا متساويا دون تمييز أو محاباة لأحد على حساب الآخرين . وعليه فلا يصح أن ينخفض أجر انسان ، لأنه اسود مثلا ، ويعطي آخر اجرا أعلى ، لكونه أبيض أو منحدرا من سلالة رفيعة النسب عريقة المجد ، أو لقرابة ونحو ذلك . فالناس جميعا متساوون في الأجور ، متفاوتون بقدر ما ينجزونه من أعمال ، أو يظهرونه من كفاية وإبداع وإنتاج .

الكرامة الانسانية أو الوحدة الانسانية :

وفي سبيل اقرار مبدأ المساواة في مظاهره الثلاثة السابقة نظريا وعمليا نادى

الاسلام بوحدة السلالة البشرية ، وأن البشر أبيضهم وأسودهم من أب واحد وأم واحدة وهم سواء في مبدأ الكرامة الانسانية ، فلا ينبغي أن يترفع انسان على آخر أو يستعبد انسان غيره بسبب اللون ، أو الحسب ، أو القوة أو الغنى أو الفكر والمواهب والفضائل أو الجماعة الخاصة ، قال الله تعالى في قرآنه الكريم : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** النساء/١ .

ويعلن القرآن مبدأ تكريم الجنس البشري عامة في قوله سبحانه : **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء/٧٠ . فهذا النص الصريح يدل على أن التكريم العام شامل لكل انسان ، وكرامته ملازمة لانسانيته ، والانسان اخ للانسان أحب أم كره ، والانسانية مكرمة سواء في السلم أم في الحرب فالصراع على المصالح الخاصة ، وبالتالي إراقة الدماء واستباحة الأنفس يجب ألا يكون سببا لتلويث كرامة الانسان ، فلا تمثيل ولا تقتيل بدون حق ، ولا تشويه ولا تجويع ولا اظماء ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اياكم والمثلة » رواه أحمد « اذا قتلتم فاحسنوا القتلة » رواه أحمد .

وكرامة بني آدم تقضي عدم التفريق في المعاملة بين طبقة وطبقة ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين فقير وغني ، أو قوي وضعيف ، لان الاسلام يجعل الناس جميعا سواء ، ومرجعهم إلى أصل واحد ، العدل يعمهم ، والرحمة تشملهم ، والخير والسعادة حق كل فرد منهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : « يا أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » رواه البيهقي في سننه عن جابر « الناس مستوون كأسنان المشط ، ليس لأحد على احد فضل الا بتقوى الله » رواه الديلمي عن انس .

ولقد كان إعلان الاسلام لمبدأ الوحدة الانسانية – وحدة الاصل والمنشأ – سبيلا لتقرير مبدأ المساواة بين الأخوة في الحقوق الفطرية الطبيعية وللرد على اليهود الذين جعلوا رحمة الله حكرا على شعبهم ، وان الاله اله بني اسرائيل وحدهم ، ولا يحق لأي شعب آخر الايمان به أو الانتماء إليه .

أما الاسلام فمبدؤه ان الله تعالى إله العالمين :**(الحمدلله رب العالمين)** الفاتحة/٢ : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الانبياء/١٠٧: **(قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء)** الانعام/١٦٤ .

ثم إن مبدأ الكرامة الانسانية يقضي بتحرير الانسان ، وتوفير كل أسباب العزة والكرامة والشرف له ، عملا بتكريم الله له ، وإزالة كل عوامل التفرقة بين ابناء البشرية بسبب الجنس واللون وغير ذلك من العوامل الآتية ، لأن الكرامة هي

الأحساس المعنوي بشخصية الانسان . والانسان هو أساس كل القيم والحضارات التي تقوم على الخير والسلام والعدل والاخاء والحرية ولن يؤمن بالحرية من لا يؤمن بالانسان وكرامة الانسان . فأي انسان يولد بالفطرة يولد حرا متساويا في الحق والكرامة مع سائر الناس .

١ ــ الجنس :

عرفنا أن الاسلام لا يميز بين الأجناس والأعراق فليس هناك جنس أو شعب هو بنشأته وعنصره ودمه أفضل من غيره ، وإنما الناس جميعا إخوة في النسب ، ووحدة في الأصل والمنشأ . قال تعالى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات/١٣ . فمهمة الشعوب في العالم هي التعارف والتعاون والتآلف ، لا التناكر والتفاخر والتزاحم غير الشريف ، ولا تفاضل إلا بالايمان الصحيح والتقوى والعمل الصالح البناء ، فبالعمل والانتاج وبالنفع العام للانسانية يفضل الشخص غيره .

وبهذا هدم الاسلام صرح العصبية القاتلة والقبلية أو العنصرية البغيضة ، وحارب كل أشكال التمييز العنصري وازال كل ألوان الفوارق الطبقية عملا بمبدأ المساواة الانسانية العامة . وسبب محاربة الاسلام لفكرة الطبقية والعنصرية : هو أنها تكون عادة سبيلا للظلم والتحكم والطغيان ، وغمط الحقوق ، والانحراف عن جادة الحياة المستقيمة ، والسلوك الرشيد ، والعدالة.لذا قال نبي الاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » حديث حسن رواه ابو داود عن جبير بن مطعم « من قتل تحت راية حمية يدعو لعصبية او ينصر عصبية ، فقتلته جاهلية » رواه مسلم والنسائي بسند صحيح .

وإذا كانت الدول الحديثة قد اعلنت مبدأ حقوق الانسان عام ١٧٨٩م وقررت الأمم المتحدة اعتبار عام ١٩٧١ كله لمكافحة ومحاربة التمييز العنصري بكل اشكاله ، فان ذلك ما يزال امرا نظريا لا عمليا ، فمازال الرجل الأبيض يستذل الأسود في قلب اوروبا ، وماتزال امريكا زعيمة العالم الحر وبريطانيا تؤيدان مبدأ التفرقة العنصرية الذي يشجبه العالم كله والضمير الانساني والشرائع السماوية ، سواء في قلب امريكا ضد الزنوج ام في قارة افريقيا متمثلا ذلك في دولة جنوب افريقيا ، والمستعمرات البرتغالية ضد الملونين .

وعلى أساس هذه النظرة العنصرية قامت في الشرق العربي دولة اسرائيل العنصرية التي تمثل أحط صور المفهوم العنصري ضد الشعب العربي الذي تضطهده اجهزة الحكم الاسرائيلي ، فتمنع حقوق الانسان وتمارس ضد السكان الشرعيين الاصليين كل انواع القتل والسجن والتعذيب والتشريد والطرد ومصادرة الممتلكات الخاصة والعبث باوقاف المسلمين واحراق المسجد الأقصى .

ويمثل ذلك تفعل دول اثيوبيا بقيادة الامبراطور هيلاسلاسي سابقا وحاليا بقيادة اليساريين ضد العرب المسلمين في الحبشة وارتيريا حيث القتل والهدم الكامل للقرى والمدن والابادة الجماعية للسكان .

٢ ــ اللون :

كذلك لا تمييز بين الناس بسبب اختلاف اللون ، فهذا من اثر البيئة الجغرافية او الأصل البشري قال تعالى : **(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)** الروم/٢٢ . **(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)** فاطر/٢٨ .

وقد فطن الاسلام الى مشكلة اللون في بادئ الأمر ، فقرر مبدأ المساواة التامة بين الأبيض والأسود ، حدث مرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع أبا ذر الغفاري يعير صحابيا بأمه ، ويدعوه : ياابن السوداء فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، وقال مستنكرا : طف الصاع ، طف الصاع ، طف الصاع (اي تجاوز الأمر حده) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح ، فما كان من أبي ذر الا ان وضع خده على التراب وقال لصاحبه : دس بقدمك على رأسي ، لما استشعر من تعديه عليه .

وفي عبارة اخرى لهذه القصة ان رجلا قال : لقيت أبا ذر بالربذة (مكان قرب المدينة) وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : اني ساببت رجلا ، فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا ابا ذر اعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم (اي اعوانكم وحشمكم) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » . رواه مسلم وقد شاهد عمر رضي الله عنه قوما في مكة يأكلون ، والخدم يقفون لهم ، فغضب وقال للسادة : « ما بال قوم يستأثرون على خدامهم ؟ » وأمر بالخدم فأكلوا مع السادة في جفان ــ أي آنية واحدة . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدا نبذ التمييز بالألوان : « أنا أخو كل تقي ، ولو كان عبدا حبشيا ، وبرىء من كل شقي ، ولو كان شريفا قرشيا » « سلمان منا أهل البيت » رواه الطبراني والحاكم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته » أي الخلافة وقد تولى فعلا كثير من الموالي المسلمين قيادة الجيوش وامارة المدن . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب ــ أي القرآن ــ أقواما ويضع به آخرين » رواه مسلم .

فأين هذه المحاربة للعصبية القبلية والعنصرية في نطاق الاسلام مما تفعله الحضارة الحديثة التي تبيح للامريكان افناء عنصر الهنود الحمر بطريقة تدريجية

منظمة ، او القيام بتخصيص مدارس ومطاعم وناقلات خاصة ومقاهي وغير ذلك للزنوج الملونين بل تحرمهم من ابسط الحقوق المدنية والسياسية ، وتسن لهم القوانين الخاصة ، وتحول دون انتفاعهم بمظاهر المدنية الجديدة كالكهرباء والطرق والمرافق العامة المنظمة والمساكن الصحية والمشافي اللائقة ، ولا تمنحهم الاجور العادلة . ويتم مثل ذلك في حكومة جنوب افريقيا التي تجاهر بالقوانين العنصرية ضد الملونين ؟

٣ ــ الدين :

لم يفرق الاسلام بين الناس في النظرة الانسانية بسبب العقيدة أو الدين ، فاذا لم يكن هناك حرب ولا عدوان فلا فرق بين مسلم وغير مسلم في مظاهر المساواة الثلاثة السابقة : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)** الممتحنة/ ٨ و ٩ .

ويمنح الاسلام حقوقا مساوية للمشركين المعاهدين عند الاعتداء على الدماء فيوجب نفس الدية والكفارة الواجبتين بقتل المؤمن خطأ : **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة)** النساء/ ٩٢ .

وهذا نقيض ما تفعله بعض الدول الحديثة في الشرق او الغرب او في افريقيا من تعمد افناء المسلمين وتشريدهم في الافاق .

كما انه ليس في الاسلام ما يعرف بطبقة رجال الدين الذين يتمتعون بامتيازات معينة او لا يخضعون للقانون .

٤ ــ النسب :

ان من اصول الاسلام الثابتة قطعا الا تأثير للنسب في مركز الانسان ، وفي المفاضلة بين الناس ، قال الله تعالى : **(فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)** المؤمنون/ ١٠١ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياصفية بنت عبدالمطلب ، يافاطمة بنت محمد يابني عبدالمطلب : اني لا املك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالي ما شئتم » رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وفي عبارة اخرى مماثلة : « يامعشر قريش لا اغني عنكم من الله شيئا ، يابني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبدالمطلب لا اغني عنك من الله شيئا ، وياصفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا » رواه

البخاري ومسلم .

وفي نداء آخر من الرسول موجه لقومه وأقاربه : « يابني كعب بن لؤي ، انقذوا انفسكم من النار ، يابني عبدمناف ، انقذوا انفسكم من النار ، يابني هاشم انقذوا انفسكم من النار ، يابني عبدالمطلب ، انقذوا انفسكم من النار ، يافاطمة بنت محمد ، انقذي نفسك من النار ، فاني لا املك لك من الله شيئا » رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابي هريرة أي ان قرابة الرسول عليه الصلاة والسلام لا تفيد احدا شيئا ولا تكون سبيلا للمفاضلة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم محددا الغاء دور النسب في الأعمال بصفة نهائية : « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم عن ابي هريرة .

وبذلك تقرر في الأذهان الا نفع لغير العمل ، قال عمر بن الخطاب : « والله لئن جاءت الاعاجم ـ غير العرب ـ بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » وفي كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص : « ان الله ليس بينه وبين احد نسب الا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء » .

٥ ـ الحسب (ما تعده من مفاخر آبائك ، او المال ، او الدين ، او الكرم ، او الشرف في الفعل ، او الفعال الصالح ، او الشرف الثابت في الاباء) :

ان الاعتماد على الحسب امر موهوم ايضا ، فصاحب الحسب الشريف لا ميزة له على غيره ، في تطبيق احكام الشريعة ، ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقعت حادثة سرقة من امرأة قرشية ذات حسب ونسب ، واسمها فاطمة المخزومية ، فاتي اهلها اسامة بن زيد ، فكلموه ، فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ياأسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف (الضعف هنا : الصغار في المجتمع) قطعوه ، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » رواه احمد ومسلم والنسائي .

وفي فاتحة التاريخ الاسلامي واقعة اخرى مشهورة وهي : لما اسلم جبلة بن الايهم الغساني ، وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فاذن له عمر ، فخرج اليه في خمسمائة من اهل بيته ، وأمر جبلة مائتي رجل من اصحابه ، فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة اذنابها ، والبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، فلما انتهى الى عمر رحب به والطفه وادنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة . فبينا هو يطوف بالبيت ، وكان مشهورا بالموسم ، اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة ، فانحل ، فرفع جبلة يده ، فهشم أنف الفزاري فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه ، فبعث الى جبلة ، فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم ياامير المؤمنين ، انه

تعمد حل ازاري ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد اقررت فاما ان ترضي الرجل ، واما ان اقيده (القود : القصاص أي العقاب بالمثل) منك . قال جبلة : وماذا تصنع بي ؟ قال : آمر بهشم انفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك ياامير المؤمنين وهو سوقة وانا ملك ؟ قال : ان الاسلام جمعك واياه ، فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية قال جبلة : قد ظننت ياامير المؤمنين اني اكون في الاسلام اعز مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك . قال : اذاً أتنصر ، قال : ان تنصرت ضربت عنقك ، لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك . ثم استمهل جبلة الى الغد ، وفي جنح الظلام فر مع خمسمائة رجل من قومه الى بلاد الروم ، فدخل الى هرقل ، فتنصر وقومه » (انظر تمام القصة في سيرة عمر بن الخطاب للاستاذ علي الطنطاوي واخيه ناجي : ١/ ٣٦٠ ، الطبعة الأولى) .

فهذا تطبيق عملي حاسم لمبدأ المساواة في العقوبات ، حيث لا مجاملة ولا محاباة ، ولا استثناء قل ان نجد نظيره في تاريخ الأمم .

٦ ـ المنصب والجاه وسلطان الحكم :

سوى الاسلام بين الحاكم والمحكومين ، والولاة والرعية امام القانـون والقضاء فلم يجعل لصاحب المنصب او الولاية اي امتياز على غيره في تطبيق احكام الشريعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم قبيل انتقاله الى الرفيق الاعلى : الا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهري فليستقد (اي فليقتص) ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضي فليستقد منه (رواه الفضل بن عباس ، الكامل لابن الاثير : ٢/ ١٥٤) .

وكان الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون في أول خطبة سياسية لهم : « اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » .

فليست ذات الحاكم مقدسة او مصونة وانما هو وغيره سواء . كذلك ليس في الاسلام امتيازات خاصة بالاسرة الحاكمة او ما يسمى بطبقة الاشراف .

فهذا عمر بن الخطاب يقيم عقوبة الحد على ولده عبدالرحمن عندما شرب شرابا مسكرا ، وكتب الى واليه عمرو بن العاص يهدده بالعزل ويؤنبه حينما بلغه انه جامل ابن عمر في اقامة حد السكر عليه » (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/ ٢١٨ وما بعدها) .

وقدم رجل قبطي من اهل مصر شكوى الى امير المؤمنين عمر فقال : اجري عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسي ، فلما رآها الناس ، قام محمد بن عمرو (والي مصر) فقال : فرسي ورب الكعبة ، فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي

ورب الكعبة ، فقام الي يضربني بالسوط ويقول : خذها وانا ابن الاكرمين ، وبلغ ذلك عمرا أباه فخشي ان آتيك ، فحبسني في السجن فانفلت منه ، وها قد اتيتك .
فلم يزد عمر الخليفة على ان قال له : اجلس ثم كتب الى عمرو ، اذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد ، وقال للمصري : اقم حتى يأتيك .
وفي وسط جمع كبير من الناس بعد ان قدم عمرو وابنه ، قال عمر للمصري : دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين ، فضربه حتى اثخنه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ثم قال : اجلها على صلعة عمرو : فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه قال : يا امير المؤمنين قد ضربت من ضربني .
ثم قال الخليفة عمر : ايا عمرو متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : اني لم اشعر بهذا (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/٢٣٩ وما بعدها) .
وشكا يهودي علي بن ابي طالب في خصومة ، فاحضرهما عمر ، وقال عمر لعلي : قف يا أبا الحسين بجانب خصمك ، فتأثر علي فقال له عمر : اكرهت يا علي ان تقف الى جانب خصمك ؟ فقال : لا يا امير المؤمنين ولكني رأيتك لم تسو بيني وبينه ، اذ عظمتني بالتكنية ولم تكنه .
وجمع عمر عماله (أي ولاته) في موسم الحج ، ثم قام فقال : « أيها الناس ، اني والله لم ابعث اليكم عمالي ليضربوا ابشاركم ، ولا ليأخذوا اموالكم ولكن ابعثهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوي ذلك فليرفعه الي ، فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه (المرجع السابق : ١/٢٢٦) .

٧ ـ الغنى والمال :

لا فرق في الاسلام بين غني وفقير ، وانما الأغنياء والفقراء سواء أمام الشرع ، فلا القاب ولا امتيازات للاغنياء ، ولا احتكارات ولا استغلال ولا استعباد ولا اقطاع لشريف ، وانما التقدير للعمل والكفاية قال تعالى : (**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون**) سبأ / ٣٧ : (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) الكهف / ٢٨ . (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**) النساء / ١٣٥ .
وكان عمر بن الخطاب يرى اولا المفاضلة في العطاء من بيت المال ، ثم لما رأى المال قد كثر رجع الى رأي ابي بكر آخرا في التسوية بين الناس في القسمة ، وقال :

لئن عشت الى قابل ، لألحقن آخر الناس باولهم حتى يكونوا في العطاء سواء فتوفي رحمه الله قبل ذلك » (سيرة عمر ، المرجع السابق : ١/٢٦٥ ، ٢٧١) .

ولم يقسم عمر الاراضي المفتوحة في العراق والشام ومصر بين الغانمين الفاتحين حتى لا يأتي الذين بعدهم فلا يجدون شيئا لهم (الخراج لابي يوسف : ص ٢٨ ـ ٣١) .

قال ابو بكر الصديق في اول خطبة له بعد استخلافه ، « الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه أن شاء الله » .

٨ ـ الشهرة والسمعة

ان الشهرة او السمعة الادبية عن الشخص في العلم او ا لدين او الخلق لا تجعل له ميزة عن غيره في استحقاق جزاء فعل ارتكبه او باعفائه من التزام واجب مفروض عليه فهو وغيره من الناس العاديين او المغمورين او الجاهلين سواء امام حكم الشرع وفي المثول امام القضاء ، واما اشادة القرآن الكريم بالعلم في قوله تعالى : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر / ٩ ، فالقصد منها تعظيم قدر العلماء المستقيمين وانهم يستحقون جزاء أوفى .

٩ ـ العمر او السن :

الناس كبارا وصغارا بالغين سواء امام الحق وفي مجال التنافس الشريف وفي الولايات وادارة الاعمال ، فقد ولي النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد الشاب قيادة الجيش وفيه ابو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة . واما تقديم الاكبر سنا فهو فقط في مجال المجاملات الادبية كالدخول والخروج والتوقير والاحترام والاطعام والمساعدة ونحو ذلك ، قال غلام لامير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز : اصلح الله امير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا ، وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه . ولو ان الامر يا امير المؤمنين بالسن ، لكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك . فقال : صدقت قل ما بدا لك .

١٠ ـ نوع الحرفة :

ليس في الاسلام حرفة او مهنة مبتذلة واخرى شريفة ، ويقدس كل صاحب عمل لعمله ، ولا يؤثر ذلك على مركزه الحقوقي اطلاقا فكل عمل ضروري للامة ، ولا بد من تقدير ذوي الحرف لما في ذلك من عود النفع على الاخرين ، فقد ذكرنا سابقا ان

عمر بن الخطاب مر يوما بمكة فرأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم ، فغضب وقال لسادتهم مستنكرا صنيعهم : « القوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم يدعو الخدم للاكل مع السادة في اناء واحد . وقال الله سبحانه : (**أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف / ٣٢ ، اي ليسخر بعضهم بعضا في الاعمال لاحتياج كل واحد من البشر الى غيره .

١١ ـ المحبة والبغض :

ان عاطفة المحبة او الكراهية ينبغي الا تؤثر في ميزان العدالة والحق والمساواة ، قال الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله**) اي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة (**شهداء بالقسط**) أي وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا**) اي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان او عدوا (**اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**) المائدة / ٨ .

ومن الوقائع العملية للتغلب على عاطفة البغض ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : اني لا أحبك فقال : أتنقصني شيئا من حقي ؟ قال : لا . قال : فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء .

وخلاصة القول : ان الاسلام كان شعاره منذ بدء امره هو اقرار واحترام حقوق الانسان بشكل كامل ، فهو الشريعة الفريدة بين الشرائع التي ضمنت توفير ذلك الاحترام من الناحية التطبيقية العملية وذلك يعني،انه لم تقتصر على مجرد اعلان ما يسمى مجددا بحقوق الانسان،ولا سيما احترام مفاهيم الكرامة الانسانية والحرية والعدالة والاخاء والمساواة ، وانما كان القضاء الاسلامي مثلا رائعا في تنفيذ وتطبيق تلك المفاهيم ، حتى ان اعمال المسلمين اصطبغت بهذا اللون الاخاذ من المساواة المادية والمعنوية في عباداتهم واعرافهم وتقاليدهم وتعاليمهم واحكامهم القضائية حتى مع غير المسلمين .

ومرجع تحقيق المساواة هو السلطة فالحكومة الاسلامية منوط باختصاصها لا باختصاص الافراد تحقيق المساواة نظريا وعمليا . وما على السلطات الحكومية القائمة الان الا ان تحذو حذو الاسلام في هدم الطبقية ونبذ التفرقة العنصرية وإزالة كل الفوارق التي تتنافى مع كرامة الانسان والشعور بالمعنى الانساني الصحيح ، وبذلك يسقط امتياز النسب او المال او ارستقراطية المواهب والفضائل او اي ارستقراطية اخرى تقوم على الفكر او التجمع او العنصرية القومية او الدينية او الايدلوجية : « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » .



للدكتور علي جريشة

لكي نبحث هذا الموضوع يتحتم علينا ان نعرف اولا :
ـ ما هو البغي ؟
ـ ومتى يكون الخروج على الامام بغيا ؟
ـ وما هي آراء الفقهاء والرأي الراجح فيها ؟
وهو ما نحاوله بإذن الله في الكلمات التي تلي .

تعريف البغي :

البغي لغة التجاوز .
واصطلاحا الخروج على الأمام الحق بغير حق ..!
فإذا لم يكن الامام حقا ، أو كان الخروج عليه بحق .. ما كان بغيا .
فلننظر متى يكون الامام حقا ؟

ومتى يكون الخروج عليه بغير حق ؟

الامام الحق

الامام الحق هو الامام ... الذي تتوافر له شروط الامامة وتتوافر لحكمه الشرعية .

● ـ **وشروط الامامة :** ذكرها الفقهاء في ابحاث السياسة الشرعيـة وفي مقدمتها :

الاسلام والذكورة والعدالة والقرشية والعلم الذي رفعه البعض الى حد القدرة على الاجتهاد ... الخ .

وليس المجال مجال سرد اختلاف الفقهاء في هذه الشروط واتفاقهم على بعضها لكنا نكتفي بالقول بان مجمل هذه الشروط وجماعها ان يلي امر المسلمين اقدرهم على تصريف امورهم وفقا لشريعة الله بالحكمة والعدل والرفق ..

وعملية الاختيار للامام ـ التي يقوم بها اهل العقد والحل ـ ويعطي المسلمون من بعدهم البيعة له ، عملية الاختيار هذه أمانة ، وأمانة كبيرة ، إنه مقام إشهاد لله سبحانه .. بل أشد الوان الاشهاد واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فيمن يولي امر المسلمين احدا وفيهم من هو خير منه .. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » واذا كان الكاتبون يصرفون هذا الحديث الى الولايات الدنيا دون الامامة العظمى فإننا نراه كذلك منطبقا على الامامة العظمى من باب اولى لان الاختيار لها اخطر من الاختيار للولايات الدنيا بالنسبة لما يلي من مهام ولان الولايات الدنيا يمكن التغيير فيها والتبديل بالالتجاء الى الامام الاعظم ، اما الامامة العظمى فان تغييرها ليس سهلا وانه لاتوجد جهة دنيوية اعلى من الامام يلجأ اليها ومن ثم كانت مسئولية الاختيار ـ الواقعة على اهل الحل والعقد اولا ـ مسئولية عظمى وكان الغش فيها خيانة لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين .

اما شرعية الحكم فتتوافر ان توافر له ركنان :

اولهما : إقامة شريعة الله :

ولا تكون مقامة حتى تتوافر شروط ثلاثة :

أ ـ ان يرد الشرع الى الله ابتداء .

لقوله سبحانه : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك**) الشورى / ١٣ وقوله : (**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**) الأعراف / ٥٤ ، وقوله : (**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**) الشورى / ٢١ فدل ذلك ان الشرع هو خالص حق الله وأن من نازعه فيه فقد وقع في الشرك والعياذ بالله .

ب ـ أن تكون شريعة الله هي العليا .

ولاشيء معها ينازعها العلو . ولاشيء فوقها يعلو عليها .. وهو مأخوذ من قول الله سبحانه وتعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**) الحجرات /١ ـ اي لا يكن لكم قول ، ولا شرع ، ولا رأي فوق أمر الله ورسوله .

وقوله سبحانه : (**يأيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي**) الحجرات /٢ دل على انه يحرم رفع صوت فوق صوت النبي كما يحرم رفع رأي او قول فوق قول النبي ـ وهو قول الامام ابن القيم وغيره من الفاقهين ـ ومن ثم فلا ينبغي لحكم ان يزعم لنفسه الشرعية اذا كان يجعل مع شريعة الله شرائع اخرى (كما كان الحال على عهد التتار اذ جعلوا مع الشريعة الاسلامية شرائع اخرى ، فأفتى العلماء بكفر من يرضي بذلك).

ومن باب اولى لايزعم حكم لنفسه الشرعية ، اذا فقد الحياء وجعل فوق شريعة الله شرائع اخرى (كما هو الحال فيمن يجعلون الشريعة الاسلامية مصدرا احتياطيا بعد التشريع الوضعي والعرف !!).

جـ ـ ان تطبق شريعة الله كاملة غير مجزأة .

في مجالاتها جميعا التي اشرنا اليها (العقيدة ، والاخلاق ، والشعائر ، والمعاملات).

فان نحيت ـ عن عمد ـ عن اي مجال من هذه المجالات ، فانه كتنحيتها جميعا يسقط عن الحكم القائم كل شرعية ..

لان رفض بعض الشريعة كرفضها كلها .

وصمه القرآن : بالكفر ، والجاهلية ، والفتنة ، ومحادة الله ورسوله ومن ثم فان تنحية حكم الشريعة عن النظام السياسي ، او النظام الاقتصادي ، او النظام الاجتماعي يسقط عن الحكم القائم وصف الشرعية !

ثانيهما : رضى المسلمين :

والمهم هو جوهر الرضى ، وليس شكله ، لان الاسلام لم ينزل قالبا خاصا يصب فيه الرضى .

لكن الرضى لازم :

لأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، لون من المعاملة ، والاصل في المعاملات الرضى ، أخذا من قوله تعالى : (**لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء / ٢٩ ، يؤكد ذلك ان اسم هذه العلاقة هو البيعة وهو اشتقاق من البيع ، والبيع احد العقود الذي يقوم الرضى ركنا اصيلا فيها !

لأن ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة حرصوا عليه ومن ثم جرت سنة منه ومن الخلفاء .

فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هم ان يقيم دولة الاسلام في المدينة ببيعة العقبة الاولى والثانية وحرص عليها كلما ادلهم خطب من الخطوب كما حدث في بيعة الرضوان حين تأخر عثمان وظن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون ان الكفار قتلوه !

وحرص عليه الصحابة .. فلم يكونوا يكتفون بترشيح اهل الحل والعقد لهم

وبيعتهم اياهم ، ولكنهم كانوا يشترطون البيعة كذلك من سائر المسلمين .

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لمستكره يمين » .

دل ذلك على ان الاكراه يبطل اليمين وبالتالي يبطل البيعة لانها كاليمين ومن ثم فان البيعة لاتصح الا مع الرضى او ان الرضى هو حقيقة البيعة التي تدل عليه .

لقول الله سبحانه : **(اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)** النساء / ٥٩ .

فدل لفظ منكم على انه يلزم ان يكونوا من المؤمنين كما دل على انه يلزم ان يكون ذلك برضى المؤمنين لانهم لايكونون منهم بغير رضى منهم .

لقول عمر بن الخطاب : « فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانه لابيعة له ولا الذي بايعه ».

وهو ما اكده عمر بن عبد العزيز حين خلع نفسه من الامارة وردها الى المسلمين ليختاروا لانفسهم لانه ولى بناء على ترشيح سلفه قائلا : « يا ايها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رضا مني ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعة فاختاروا لانفسكم ».

بهذين الركنين :

اقامة شريعة الله .

وتوافر رضى المسلمين ..

تقوم للنظام الشرعية ويصبح واجبا طاعته ونصرته ويعد الخروج عليه ـ بغير حق ـ بغيا يستوجب حد الحرابة .

اما ان تخلف الركنان او احدهما فان النظام تسقط عنه الشرعية ويعد القائم عليه باغيا ومن ثم فلا يعد اي خروج عليه بغيا ... وان كان في الامر تفصيل وشروط .

متى يكون الخروج حقا :

في الفقه اراء ثلاثة :

١ ـ **رأى اهل السيف : الخروج حق .** ولو كان لظلم وقع على فرد .

وقد اشتهر الخوارج بهذا الرأي لكن الامام ابن حزم ينسبه الى الائمة الثلاثة (عدا احمد) وينسبه الى شريك وداود ، والى الصحابة من الطرفين : على ومعاوية . ودليل هذا الرأي :

ـ قوله تعالى : **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة /٢ والسكوت على باطل او ظلم تعاون على الاثم والعدوان منهى عنه .

ـ قوله تعالى : **(فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله)** الحجرات / ٩ . فقد امر الله بقتال الفئة الباغية اي الظالمة حتى تعود الى الحق .

ـ قوله صلى الله عليه وسلم : « **من رأى منكم منكرا فليغيره ...** » الحديث رواه مسلم .

فقد امر بتغيير المنكر ايا كانت درجته ، واعلى درجات التغيير وافضلها التغيير باليد . ويؤكد احاديث النهي عن الطاعة في معصية .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، والمقتول دون دينه شهيد ، والمقتول دون مظلمة شهيد » رواه مسلم .

دل ذلك على منزلة من يدافع عن ماله ، او دينه ، او حقه فيقتل ، ومن ثم دل على شرعية القتال دون المال او الدين ، والحق ..

ويرى ابن حزم ان الاحاديث السابقة ناسخة لاحاديث اهل الصبر ولانها جاءت بشريعة زائدة .

ـ رأى اهل الصبر : الخروج ليس حقا :

وهو رأي غالبية فقهاء اهل السنة وسندهم في ذلك :

١ ـ امر الله بطاعة اولي الامر بعد امره بطاعة الله ورسوله وبالرد الى الله والرسول عند التنازع (**يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول**) النساء / ٥٩ .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فمن تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به » رواه البخاري .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام « من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية » رواه البخاري .

ـ قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عبادة بن الصامت « دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » رواه البخاري والأحاديث في المعنى كثيرة .

ـ فعل الصحابة : فان عثمان أبى أن ينخلع من الخلافة ، ولقي الله شهيدا وهو صائم يتلو القرآن ، واعتزل عدد غير قليل من الصحابة فتنة الخروج على علي ، كما فعلوا في خروج الحسين رضي الله عن الجميع .

ـ تجنب الفتنة ، لما يؤدي اليه الخروج من قسم لوحدة الأمة ، وتهديد لأمن الدولة يدفع بالضرر الأصغر وهؤلاء جميعا يرون وجوب الصبر ، ويحرمون الخروج .

● **رأي وسط :** لا يرون وجوب الخروج ولا تحريمه ،

وانما يرون جواز الخروج ، وجواز الصبر ،

ودليلهم في ذلك فعل بعض الصحابة الذين لم يشاركوا في الخروج ، ولم ينكروا على من خرجوا ، فدل مسلكهم على الجواز والاباحة دون الوجوب او التحريم .

● **ما نراه في هذا الخلاف :**

ـ لا نرى رأي ابن حزم في القول بنسخ احاديث الخروج لأحاديث الصبر ، لأن النسخ لا يصار إليه مع عدم امكان التوفيق ، والتوفيق ممكن بإذن الله . ولا نرى

الصبر على الاطلاق ، كما لا نرى الخروج على الاطلاق .
ونقول بعون الله تفصيلا لذلك .
ـ إن الكثيرين ـ ممن كتبوا حديثا ـ لم يفهموا القضية على وجهها الصحيح إن الذين رأوا الصبر يتحدثون عن نظام يقيم حكم الله ، وتقع منه بعض التجاوزات او بلغة العصر بعض السلبيات ، ومن ثم فهم لا يرون التضحية بنظام شرعي يقيم حكم الله من اجل بعض الأمور التي قد تكون فردية ، والتي يمكن تصحيحها بسبيل آخر غير تعريض وحدة الأمة وأمنها للأخطار !

وهم حين يتحدثون عن طاعة ولي الأمر ، يتحدثون عن طاعة ولي الأمر الذي يقيم شريعة الله بكل جوانبها وبمعناها الشامل لكل انشطة الحياة ، ذلك انهم يفهمون كما فهم السلف الصالح ، وكما ذكر المفسرون ، ان الطاعة الواردة في الآية الكريمة لم تجعل لأولى الأمر حق الطاعة استقلالا لأنها حين ذكرت لفظ الطاعة ذكرته مع الله والرسول ، ولم تذكره مع اولى الأمر ، فدلت هذه الاشارة الى ان طاعة الله وطاعة الرسول ـ باتباع القرآن والسنة ـ كلاهما يجب استقلالا ، ودل اسقاط لفظ الطاعة بالنسبة لأولي الأمر على ان طاعتهم لا تجب استقلالا ، وإنما تجب استمدادا من طاعة الله والرسول ، وتقيدا بطاعة الله والرسول ومن ثم ـ ومن الآية نفسها ـ إذا لم يكن اولو الأمر مطيعين لله والرسول ـ بعدم تطبيق الكتاب والسنة ـ فلا طاعة لهم ، وقد تأكد هذا المعنى بأحاديث كثيرة .
ـ إن الصبر المقصود في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الصبر مع الانكار بالقلب ، والاعتزال للمنكر وأصحابه ، وبالقول تعريفا ثم تعنيفا ، وباسقاط حقوق الحاكم في الطاعة والنصرة .. كل ذلك بتدرج .. حتى نصل إلى إسقاط الحاكم نفسه إن لم يكن في اسقاطه فتنة ، كأن يتم بوسائل دستورية حديثة مثل ما حدث للرئيس الأمريكي نيكسون عندما اتهم بالتستر على بعض المتهمين من انصاره ومحاولة حمايتهم فيما سمي بفضيحة « ووترجيت » .

لذلك نرى بعون الله :

أولا : وجوب الصبر مع النظام الشرعي

لأن الحفاظ على نظام يقيم شريعة الله حفاظ على الدين نفسه ، وهو يقف من الضرورات في المقام الأول .

كذلك فان الحفاظ على وحدة الأمة المسلمة ـ وهي التي توجد في نظام شرعي ـ حفاظ على إحدى الضرورات كذلك .

والحفاظ على سلامة الدولة الاسلامية ـ وهي التي تقيم هذا النظام الشرعي ـ حفاظ على احدى الضرورات كذلك .

فهذه الضرورات الثلاثة توجب الصبر أخذا بالآيات والأحاديث التي في المعنى ، والتي سبق الاشارة اليها .

ثانيا : وجوب الخروج على الكفر البواح

لكن إذا كان النظام يعدل عن شريعة الله ، او يعدل بشريعة الله ، فهذا هو

الكفر البواح الذي يوجب الخروج ، والذي عنته كل النصوص السابقة ، لكن يلزم للخروج شروط :

أ ــ توافر الكفر البواح

الذي عندنا فيه من الله برهان ، وليس مجرد المعصية او التجاوز في حالات فردية كما قلنا .

ب ــ استنفاد الطرق

من جهاد القلب مع الاعتزال ، الى جهاد الكلمة بمراحلها ، الى اسقاط حقوق الحاكم ، الى محاولة اسقاط الحاكم نفسه .

ذلك ان الخروج على الحكم اقامة للشرعية وتصحيحا لها .. ضرورة ، ولا يصار الى هذه الضرورة الا بعد استنفاد وسائل ادنى منها ، تماما كما لا يصار الى بتر عضو من جسد الانسان إلا بعد استنفاد وسائل ادنى من ذلك .

جـ ــ ان تتوافر القدرة

أن تتوافر لدى الخارجين القدرة على التغيير . وهذه يؤخذ فيها بالسنن الكونية أخذا بأمر الله (**وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة**) الانفال/ ٦٠ ثم يكون التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب .

وهذا الشرط وإن أهمله الكثيرون .

إلا أننا نجده في كتابات القدماء ، وإن اختلفوا حول معيار القدرة ، فقال البعض أن يتوافر عدد مثل عدد من قاتلوا في بدر ، لأن الله أنزل عليهم النصر وقال البعض الآخر إذا كان عدد الخارجين نصف عدد من سيخرج عليهم ، ولعله اخذا من قوله تعالى (**الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين**) الأنفال/٦٦

وعلى العموم فمعيار القدرة معيار موضوعي نسبي تبعا لظروف وملابسات كل حالة لكن المهم ان يقوم التقدير على اساس سليم ، وليس على اساس من خيال او هوى او حماس .

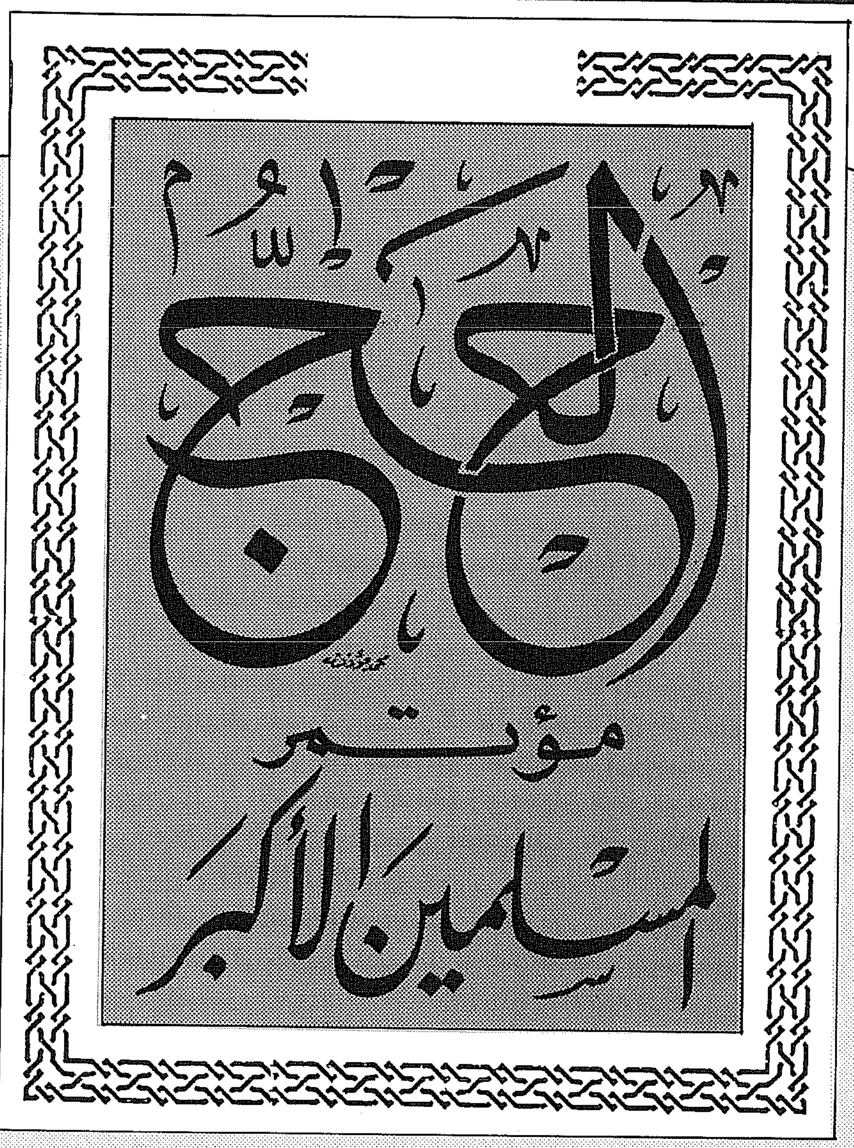
ثالثا : كيفية الخروج :

كما لا ينبغي ان يستعمل مبضع الجراح أي أحد ..

فلا ينبغي ان يقرر الخروج كذلك أي أحد .. لما يترتب عليه من آثار تحتاج الموازنة بين الأضرار ، كما تحتاج من قبلها الموازنة بين الضرورات ، ومن ثم فقد وجب ان يكون تقرير الخروج بيد اولي الحل والعقد .

وهم الذين وضعت الأمة الاسلامية فيهم ثقتها ليمثلوا ارادتها ، وهو وضع طبيعي ان يكون من عقد ابتداء بيده ان يحل انتهاء ، فيكون اليهم « قيادة الأمة » في هذا الظرف العصيب .

فاذا تم القضاء على « الكفر البواح » وجب ان تغمد السيوف ويعود الهدوء الى الأمة دفعا لأي خطر خارجي ، ومنعا من ان تتشعب الفتن ، وتتفرق الأمة .



حج هذا العام .. هو آخر حجة نودع بها قرنا من التاريخ الهجري ، ونستقبل قرنا جديدا ، والحج هو مؤتمر المسلمين الأكبر .. الذي لا يكبره مؤتمر آخر .. تتوافد إليه ملايين المسلمين من شتى بقاع الأرض ، شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، ألسنتهم مختلفة ، ولغاتهم متباينة ، وأجناسهم وألوانهم متعددة .. ولكن يجمعهم شيء واحد هو الاسلام ، وإسلام الوجه لله جلت

للاستاذ : عبدالمقصود محمد حبيب

قدرته يضمهم الايمان بالله وبرسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في بوتقة واحدة .. يوجههم إلى طريق واحد .. يلبسون بلسان واحد .. ويتضرعون بقلب واحد ، إلى إله واحد .. كل منهم ألقى عن كاهله بعيدا بعيدا كل ما يحمله من توجه سياسي ، وما يعيشه من نظام اقتصادي .. ووقف في رحاب النبوة ، في بيت الله العتيق ، وعلى عرفات .. شامخا بايمانه قويا بعقيدته .. فترى هؤلاء الملايين إنسانا واحدا .. فكرا وعملا ، وتوجها وملبسا ، وأملا .. لا تستطيع أن تميز ما إذا كان هذا ألمانيا وذاك إنجليزيا أو روسيا أو عربيا .. ولا تستطيع أن تستخرج من بينهم في وقفاتهم تلك أيهم الغني وأيهم الفقير ، أيهم الأمير وأيهم الخفير .. كلهم عبدلله .. بكل معنى كلمة العبودية لوجهه تعالى .

وها هو مؤتمر هذا العام .. أهل علينا .. وتطلعت إليه نفوس كثيرة ، واشرأبت إلى نيل الوقوف فيه أفئدة عديدة ، ولم يمكنها من ذلك عدم الاستطاعة .. ولكن قلوبهم به وبمن فيه معلقة .. فهل يشرق هذا المؤتمر الكبير على القرن الهجري الخامس عشر .. بالوحدة الشاملة بين البلاد العربية والاسلامية تحت لواء دين الله الحق .. بعد أن لعبت الأهواء والاغراءات المادية والسياسية والدنيوية في تفتيت هذه الوحدة ، وتعميق الانقسامات فيما بين أعضاء الأسرة الواحدة .. إنه ديننا الحنيف الذي يقول كتابه الكريم وهو الفرقان فيما يقول :(**كنتم خير أمة أخرجت للناس**)آل عمران/١١٠ ، (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) آل عمران/١٠٣ ، وفي الحديث النبوي « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه النسائي والترمذي .

هو ديننا الحنيف ـ الاسلام ـ الذي شرع لنا هذا المؤتمر .. لا لمجرد التجمع فيه ، ولكن لشحذ الهمة ، واعتبار الموعظة ، والاستزادة من قوته قوة .. إنه مؤتمر الحج الذي نعود فيه إلى الله ، ونرجع من لقائه في هذه الأرض المطهرة ، إلى لقائه في كل ما نأتي وما ندع ، نسير على هديه ، ونلتزم طريقه ، ونهتدي صراطه المستقيم .. يغفر لنا سبحانه وتعالى إذا استغفرنا .. ويستجيب لنا إذا دعونا .. ويثمر عملنا بفضله إذا صدقنا النية والطريق ..

ولقد قال عليه الصلاة والسلام : « الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » رواه النسائي « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » رواه البخاري .

« إن هذا البيت دعامة من دعائم

الاسلام ، فمن حج هذا البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فان مات أدخله الجنة ، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة » رواه الطبراني ، « من أراد الحج فليتعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الضالة ، وتعرض الحاجة » رواه احمد وابن ماجة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « معشر الناس : أتاني جبريل عليه السلام فأقرأني السلام ، وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات » .

فقام عمر بن الخطاب وقال : يارسول الله أهذا لنا خاصة ؟

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « هذا لكم ومن أتى بعدكم إلى يوم القيامة » فقال عمر رضي الله عنه : كثر خير الله وطاب رواه أبو داود.

وفي الأشهر الحرم يبادر المسلمون إلى الجهات المسئولة تأهبا لأداء دعوة الله إلى حج بيته الحرام ، ويتوافدون من كل فج عميق على مكة المكرمة ، وقد غمرهم فيض من السعادة لا يدانى ، وضاءت نفوسهم بالرضا والحبور ، واطمأنت أفئدتهم لنسمات الشوق تداعبها .. الشوق العذب إلى اللقاء بأسعد لحظات العمر حين يصلون ليشهدوا الكعبة الشريفة حيث قبلة المسلمين في شتى بقاع العالم من شرقه وغربه وشماله وجنوبه .. وليروا مدارج رسول البشرية كلها .. وليروا أول بقعة ترددت فيها صيحة الحق من أجل حياة كريمة ، وقلب نظيف ، وإيمان مضيء برب قوي قدير وسلام يعم الدنيا كلها ، على أساس من المحبة والتقاء القلوب .. في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لتنقذ العالم كله من ضلال الوثنية والانحراف ، وتدعو إلى توحيد الله ، وإلى مكارم الأخلاق وإلى العدل والاحسان ، وإلى إزالة كل ما أدخلته الوثنية على حياة البشر ..

وهنا تتمثل وحدتهم ، ويبدو تآلفهم ، وقد أصبحوا جميعا في صعيد واحد ، في رحاب خاتم الرسل وأكرم الانبياء ، وفي رحاب أول بيت وضع للناس أمنا ومثابة ، وليحظوا بما كتب الله لهم:(**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**) آل عمران /٩٦ و ٩٧ .

وهناك حيث تقف الآلاف الزاخرة من الحجيج وملء نفوسهم القناعة ، وملء ضمائرهم الخشوع ، وقد نضوا عن أجسادهم ما تعودوا عليه من ثياب ، وما ارتاحوا له من مظاهر زينة وتجمل ، يقفون جميعا وقد تساووا فيما بينهم ، أولهم مثل آخرهم ، لا يعرف فيهم فقير ولا غني ، بل الجميع على قدم المساواة أمام وجه الله . متجردين من صنعة الدنيا وألوانها ومظاهر طبقاتها وتفاوتها .. عائدين بما هم فيه من مظهر الاحرام إلى وحدة المظهر ، يحاكون بها وحدة العقيدة والايمان ، ولا يكون أمام بصائرهم إلا الذي

أضاء بفضله رحاب بصائرهم ، فتشملهم عظمته ، وتظلهم رحمته ، ويكون شعارهم الدائم ، وكلماتهم الصاعدة من أعماق القلوب هذا النشيد الالهي الذي يعبرون به عن وضعهم أمام جلال الله ، رب السماء والأرض وما بينهما .. يتجهون إليه بكل جارحة من جوارحهم ، يشكون إليه ضعفهم وقلة حيلتهم ، ويطلبون منه العون والقبول في ساحة رضاه وغفرانه « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » في أصوات خاشعة ضارعة ملتمسة الى خالق الوجود .. وهي من توحدها .. صوت واحد ..

مظهر ما أجمله من مظاهر الوحدة الشاملة ، حيث يجتمع هذا الجمع الحاشد من جنسيات مختلفة ، ووطنيات كثيرة ، وبلاد متباعدة الحدود ، بينها فواصل جغرافية كبيرة وبعيدة .. وتراث حضاري مختلف ، يجتمعون هنا على أمر واحد .. يقصدون بيتا من أكرم بيوت الله ، فيتعارفون ، ويتعاونون ، ويفكرون فيما فيه صلاح أمرهم ، واعتدال أحوالهم ، وكلهم جمع بينهم الخضوع لله رب العالمين ، وهم يحسون بالأخوة في الله تربط بينهم ، وبالمحبة تقدمهم الى بعضهم ، فالعربي أخ للهندي ، والباكستاني ، والأفغاني أخ للصيني ، وأخ للاندونيسي والروسي والاميريكي والأوروبي .. جمعتهم وجهة واحدة ، وهدف في القلوب كلها واحد .. تجشموا الطريق ليصلوا إليه ، تاركين وراءهم أموالهم ، وأولادهم ، وأقرباءهم ، وبلدانهم ، ملتمسين الرضا الرباني .. معتقدين في رسوخ أن الله وحده هو العظيم ، وأنه وحده هو الكبير ، وأنه وحده دون الحول والسلطان في الدنيا والآخرة ، وأن دينه دين الوحدة والجماعة في شعائره ونظمه التي رسمها للحياة .

نعم .. إن الحج وقفة وطواف .. وقفة هي الضراعة الذليلة أمام الصمدية العزيزة ، وطواف هو طواف المحب الدائم .. وقفة وطواف .. وقفة الجندية القوية المضحية في عرفات ، وطواف العهد والميثاق ببيت الله الحرام .. وقفة وطواف هما نهاية المراحل للعبد المؤمن في سلوكه إلى مولاه المهيمن ، هما حقيقة الركن الخامس والأخير من أركان الاسلام وهو الحج .. « بنى الاسلام على خمس شهادة ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » رواه احمد والبيهقي .

(ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) لقمان/٢٢ .

وللحج أسرار كريمة ، ومعان إنسانية مشرقة ، تكمن خلف مظاهره .. وقد تحدث عنها فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت فقال : إن الحج لم يشرع لمجرد ذكر الله ، ولا لمجرد طواف المسلم منفردا ببدنه حول بيت الله ، ولا لمجرد وجوده واكتحال عينه بالمشاهد المقدسة ، وإنما شرع

لذلك وأعم منه .. شرع ليكون السبيل لجمع المتفرق ، ولم المشتت ، وتقابل الآراء بالآراء ، ثم ليعود المجتمعون وقد حملوا مسئولياتهم المشتركة ، وأخذ كل منهم نصيبه منها ، ويعمل مع أهله ومواطنيه على تحقيقها ، والقيام بواجبها في حفظ إنسانيتهم ، ورسم طريق سعادتهم وليتكون من جميعهم أمة واحدة ، هي الأمة المثالية الفاضلة التي أعلى الله شأنها ، ورفع ذكرها في كتابه الكريم **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران /١١٠ .

وقد اختار الله لهذا الاجتماع العظيم ، ولتلك الرحلة الربانية الكريمة ، أماكن الذكريات المقدسة ، ومهابط الرحمة الالهية ، من عهد ابراهيم الخليل إلى عهد حفيده خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ، لتعرف الانسانية وحدتها ، وتعرف أن دعاة الايمان سائرون في طريق واحد ، وعلى منهج واحد .. هو طريق الله . وتفهما لهذه الأسرار الكامنة .. يجب أن تتغير نظرتنا إلى الحج يجب ألا يصبح الذهاب إلى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة .. يجب ان تكون للحج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبائه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد ، وإنما بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ، ورجال الرأي فيها ، وعلماؤها في كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ، ليضعوا في هذا البرلمان الاسلامي العالمي خطوطا عريضة لسياسة بلادهم ، وتعاونها معا ، حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام ..

لقد كانت بلاد الاسلام كلها كأنها بلاد واحدة ، فلا فواصل تفصل بينها أبدا ، ولا قيود ، ولا سدود ، ولم يجرؤ واحد على إقامتها .. وكانت الصلات وخاصة بين العلماء والقواد على تمام قوتها وجمال ثمرتها .. مهما كان من تباعد الديار .. والفضل الأعظم في هذا التقارب ، وهذا الاتصال يعود إلى الحج دون مراء .. وسيبقى للحج خلوده .. ولرسالته إشراقها .. ولمنافعه آثارها إلى يوم الدين .. فهو فرض من فروض الدين الاسلامي الذي هو دين الحياة ، ودين الايجابية الفعالة لاقامة حياة قوية بالوحدة وبالعدالة وبالحرية ، وبالمحبة وبالسلام .. فلماذا لا نستجيب لدعوة الايجابية النابعة من هذا الفرض ، ويكون هذا المؤتمر الكبير خطوة عظيمة يخطوها الحجيج كل عام في سبيل الانتصار لقضية الوحدة الشاملة ، واسترداد الأرض السليبة ، وتحرير المقدسات المغتصبة ، وردم وهاد الفرقة بين ابناء امة واحدة حتى تسمو كما كانت ، وتقود كما كانت ، وتشع على العالم أمنا وحماية ، وحرية وعدالة انسانية كما كانت ..

لحظات في رحاب

الخليفة الثاني



للاستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

في كتاب ضخم وفريد ، أثار ـ بصدوره حديثا ، بالولايات المتحدة الأمريكية ـ اهتماما بالغا . لم يك غريبا أن يختار مؤلفه ـ د. ميكل هارث ـ شخصية الرسول الكريم (محمد) صلوات الله وسلامه عليه : الشخصية الأولى ، رقم (١) في سلسلة الترتيب من حيث الأهمية وقوة التأثير في التاريخ الانساني بكافة . الكتاب عنوانه (المائة) ، وشخصياته هم : أهم مائة إنسان في طول التاريخ وعرضه تأثيرا في حياة الانسانية إجمالا . و ـ نكرر ـ ليس بالمستغرب البتة ، فضلا على أنه : البديهي الذي لا جدل عليه ولا مناقشة ، أن يكون (محمد) هو الأول والأهم .. إلا ان القارىء العالمي بالتأكيد توقف طويلا عند إيراد شخصية (عمر بن الخطاب) ضمن أولئك (المائة) الذين استخلصهم المؤلف من بين زحام الرواد والعباقرة وشواهق الرجال على امتداد تاريخ الانسانية بوجه الاجمال .

وفي الحق أن شخصية (عمر) : واحدة من أبرز تلك الصروح الأخلاقية الشاهقة الفريدة ، التي أنضجتها مدرسة النبي العظيم (محمد بن عبد الله) عليه الصلاة والسلام .. وما أحوج شبابنا العربي عامة ، وشباب الاسلام على الخصوص ، إلى تأمل وتدبر ما يصدر عن تلك الصروح الفارهة الباهرة ، من شعاعات هادية ومضيئة أبدا .. فلقد يجيء – بعد التأمل والتدبر – : الارتواء .. فالاقتداء .. و : « إنما الأمم الأخلاق ما بقيت » فان هموا ارتووا ، واقتدوا .. سادوا .. وارتقوا ..

اشتهر « عمر » بالعدل .. واشتهر العدل به .. فهو (أبو العدل) – كما وصفه الأديب العربي عباس محمود العقاد – وانه ليعلم كم هو قوى .. تدفعه إلى تلك المراقي السامقة من القوة : غيرة شديدة للحق ، وللعدل .. ومن ثم فانه لم يكن عجيبا أن يقول للناس – هكذا مباشرة ، وفي بساطة ، وبلا تزويق – في أول خطبة يلقيها عليهم ، بعد أن تمت البيعة له :

– أيها الناس .. إنكم قد ابتليتم بي .. وابتليت بكم !

قول جامع حاسم ، ثري المعاني ، في إيجاز بليغ دونه كل إطناب . في هاته الكلمات القصار : يعني (عمر بن الخطاب) أنه ، في إقرار العدل وإحقاق الحق .. لن يرحم أحدا حتى نفسه .. لن يهدأ ولن يفتر .. لا هوادة ولا مهادنة أمام أي حيف أو جور .. فما أثقل التبعة على الطرفين حقا .. على الناس .. وعليه !!

لكنه ، على الرغم من تلك الشدة في موطن الشدة .. لم يكن قاسيا على طول الخط ، ولا شديدا عنيفا دائما وفي كل شيء .. فان في حياته المضيئة جوانب يبدو (عمر) فيها : رقيقا كل الرقة ، بسيطا متناهيا في البساطة .. فلم يكن أبغض إليه – مثلا – من التكلف والمتكلفين . إنه يزدري المتعالين بغير مبرر ، ويعطيهم بنفسه – ومن ذات نفسه – : (مثالا مضادا) ، يصغرهم به ، يضغطهم إلى أحجامهم الطبيعية ، و .. وتعلو بساطته وتسمو على تكلفهم المفتعل .. فيضطرون إلى التراجع عن استعلائهم مرغمين .. ويعودون – صاغرين – : طبيعيين . (عاديين) ! .. يحدث أن يتأخر عن الصلاة .. حتى إذا جلس على المنبر ، يرى أنه لا بأس مطلقا من الاعتذار للناس ، بالعذر الحقيقي :

– لقد أخرني قميصي ..!!

أجل !. لم يجف قميصه ، الذي كان غسله ، فانتظر حتى يجف .. و .. وجاء ليصلي وليؤم القوم ، فـ ... فلماذا اصطناع أعذار أنيقة ، يتكلف فيها التعالي بما ليس حقيقيا ؟!.. ولا ينقص هذا شيئا من مهابة واحترام الناس له . العكس هو الذي يحدث : مزيد من حب وإجلال وإعجاب لعمر ...

كان (عمر) قبل أن يشرح الله قلبه بالاسلام : من عتاة المناوئين للنبي .. وكدأبه حينما يقتنع أخيرا ، بأن ههنا (حقا) ساطعا ، فيعتنقه بكل ما أوتى من قوة ، وأن هناك (باطلا) بينا ، فلا يتردد في أن يلفظه بحدة لفظا ، بل وينقلب عليه توا ، بذات القوة والعنفوان .. ما أن يضيء نور الاسلام فؤاده ، حتى ينطلق

صاعدا في معارج الترقي .. فيصبح (عمر) الذي أعز الله الاسلام به حقا ..

ومن أقواله حول قصة إسلامه ، ما يعطي توكيدا عمليا على نوعية رد الفعل في تلك النفس الكبيرة القوية .. « لما أسلمت تلك الليلة .. تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عداوة ، حتى آتيه ، وأخبره أني قد أسلمت .. قلت : (أبو جهل) . فأقبلت حين أصبحت ، حتى ضربت على بابه .. فخرج إلي أبو جهل فقال : (مرحبا واهلا بابن أختي ، ما جاء بك) ؟. قلت : (جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله ، وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به) !.

كان قد جاء الحق ، وزهق الباطل .. فلا مهادنة إذن ، ولا أدنى مصانعة مع باطل ، مهما يكن ذلك الباطل هاما أو مصدر خطر .

كان لـ (عمر) هيبة خاصة .. حتى أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم كان يوقره ، ويحرص على أن يحفظ له تلك المهابة .. وفي ذلك تروى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .. أنها طبخت حريرة ، ودعت (سودة) أن تأكل معها ، فأبت .. فعزمت عليها لتأكلن أو لتلطخن وجهها . فلم تأكل برغم ذلك . فوضعت عائشة يدها في الحريرة ، ولطختها بها .. والنبي حاضر يضحك ، بمعهود سماحته ولطفه ، وليقينه بأن لكل وقت مناخه ودواعيه .. لكنه ــ عليه أزكي السلام ــ وحتى في وقت (صفاء عائلي) وأثناء (مرح منزلي) كذاك : لا ينسى ــ وهو منشىء وامام مدرسة الحق والعدل ــ مقتضيات الحق والعدل ، هاهنا أيضا .. فيضع الحريرة في يد (سودة) ويقول لها مشيرا إلى عائشة ، التي كانت البادئة : ــ (لطخي أنت وجهها) !. بالطبع . واحدة بواحدة ، ولا تفضيل أو تجاوز لاحداهما على الأخرى . ففعلت . و .. عندئذ مر (عمر) .. فناداه النبي : (يا عبد الله) .. ثم انثنى جانبا ، يقول على عجل للاثنتين معا : (قوما فاغسلا وجيهكما) .. وتختتم عائشة روايتها بهذا التوكيد : « فما زلت أهاب عمر ، لهيبة رسول الله إياه .. » .

ومن مظاهر الهيبة التي اختص بها عمر بن الخطاب بأكثر وأظهر من سواه .. أن الصبيان الصغار ، وهم يلعبون .. كانوا ــ حال أن يهل على الطريق (عمر) ــ سرعان ما يفرون عن طريقه جميعا .. .. لكنه ، ككل رجل قوي ، يحب الانسان الشجاع ، الذكي ، وان كان حدثا صغيرا .. فلما مر ذات يوم ، وفر الصبيان من أمامه إلا واحدا ، ثبت مكانه لا يتزحزح .. راقه أن يرى ذلك الذي لم يفعل كما فعل أقرانه .. فتقدم (عمر) منه هاشا باسما راضيا ، يسأله في وداعة ولطف : (مالك لم تفر معهم) ؟.. فأجاب الصبي بهدوء وثقة ــ وكان عبد الله بن الزبير ــ : (لم أجرم فأخافك .. ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك) !.. ويعجب عمر بهذه الاجابة .. وتسعده ثقة الفتى بنفسه .. ويتنبأ بأن سيكون له شأن . وقد كان .

.. ولأنه نصير الحق والعدل .. عدو الخيلاء والزهو .. فان مهابته لم تكن تصدر عن أبهة سلطة أو سموق منصب ، وانما كانت تنبع وتشع من نفاسة وثراء

شخصيته ذاتها .. شخصية تزخر أعماقها بنفائس من كنوز خلقه ، فيكون الاشعاع الساطع من داخله ، المنعكس بتلقائية على كل من يلقاه : موحيا بما هو في أعطاف ذلك الاهاب الشامخ من محتوى .. فلا يكون من (المتلقى) إلا : مشاعر الاجلال ، وصادق التوقير ، دونما حاجة إلى تفسير .. ولننظر بتمعن إلى ابن الخطاب جالسا في صحن المسجد ، تأهبا لتأدية صلاة جامعة ..و .. لنرقبه ــ هو فحسب ــ حين يدخل إلى المسجد رجل رفيع المكانة ذائع الصيت فاقع الشهرة كــ (خالد بن الوليد) .. ابتداء ماذا يمنع شخصا كخالد أن يلتمس لزينته شيئا من زينة خاصة ، وهو (البطل) المقدام ، ذو الانجازات الباهرة الخارقة ؟؟.. عند الكل : لا ضير ، لا جناح ، لا أقل مأخذ !.. لكن : أعند (عمر) يستوى الأمر ؟؟.. ندقق ونركز لنلحظ كيف أن ما عند عمر شيء جد مختلف !.. يصوب نظرة (عمرية) إلى الداخل للمسجد ، فيراه وقد تأنق في لبوسه ، وزاد على الأناقة بأن أسبل على ثيابه قباء ، وغرز في عمامته أسهما !!.. وبكل بساطة وقبل أن يأخذ خالد راحته في القعدة بين صفوف الناس ، يقف عمر ، ويتمشى إليه ، و .. يتصرف !!. و .. ولا يدهش الناس ولا يذهلون وهم يرون عمر وقد وقف على رأس (خالد) الذي هو قائد وفاتح .. ثم يميل عليه ، ثم يبدأ ينتزع من عمامة رأسه وأغطية جسمه كل تلك (الزوائد) من الأشياء ، تباعا ثم يحطمها ويلقي بها جانبا .. ثم يكر إلى مكان قعوده راجعا !. انتهت (اللقطة) ، والى هنا ولا أحد يدهش ، ولا اى شخص يصدر عنه أقل ملمح من تعجب ، وذلك كله طبيعي واعتيادي في محضر (عمر) ولكن !.. ولكن ماذا بالنسبة للقائد المغوار الذي شهدت له ساحات الحروب وأقرت لبسالته كافة الأصقاع ؟. ما رد الفعل عند (خالد بن الوليد) الذي حدث له ــ على يدي عمر ــ ذلك كله ، على مرأى ومسمع من بني قومه ؟.. لا شيء . مطلقا وثباتا . يطرق خالد في صمت ، يسكت تماما وقد أدرك على التو أنه ــ بالتأكيد ــ أخطأ بالتزين بتلك الأشياء ، ويترك يدي عمر تنتزعان وتحطمان وتبعثران ، وهو صامت ، ساكن ، لا يريم !.. لم يرفع إليه عينا . لم يدع فاه يخرج حرفا . ولولا وجود هيبة حقيقية لشخص (عمر) .. لقد كان يمكن لخالد أن يعترض أو يحتج ولو قليلا .. حتى ولو بمجرد (كلمة امتعاض) أو حتى (همهمة استياء) مثلا !!

وما أكثر المأثورات (العمرية) الشهيرة جدا ، الباقية ــ وضاءة ــ أبدا .. كحمله الدقيق على ظهره .. تحت جنح الليل .. إلى حيث تقبع امرأة لم تجد ما تطعم به صغارها .. وبقائه معها ، حتى طبخت لهم وهو يساعدها .. ولم يغادرها حتى شبع ونام اطفالها .. ومثل استقدامه بعض الولاة الذين حادوا عن طريق النزاهة المطلقة التي رسمها لهم ، ثم اقتسامه ــ على رءوس الأشهاد ــ أموالهم .. الأموال التي جلبتها (الوظيفة) إليهم ، ولم تجلبها مواهب شخصية كامنة في (حضراتهم) !!.. ما أكثر الأمثلة في ذلك .. وكلها ناطقة بمدى القوة الهائلة والفريدة التي مضى بها (عمر) : ناشرا عدله بين الناس .. واثقا أنه

المسئول ــ شخصيا ــ عن طمأنينة وأمن كل فرد .. وهو بالمنطق الذي يجابه به الآخرين حينما يخطئون : يجابه ، كذلك ، بنيه ، وأهل بيته ، إذا حدث من اى منهم نفس الشيء .. إنه يحمل بعنف على ابنته (حفصة) زوج الرسول ، ويحذرها بشدة من التمادي في التدلل ، أو من مسايرة صاحبتها ــ عائشة ــ فيقول لها عبارة : نستشف من ورائها كم هو شديد التواضع حقا :

ــ « أين أنت من عائشة .. وأين أبوك ، من أبيها » ؟!

وفي موقف آخر .. يدرك عمر أن ابنته كانت سببا في غضب الرسول .. فيذهب مزمجرا يصيح بأعلى صوته ، على باب الخزانة التي اعتكف فيها النبي وعلى عتبتها يقوم غلامه (رباح) لا يسمح لأحد بالدخول عليه :

ــ يا رباح .. استأذن لي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاني أظنه ظن أني جئت من أجل حفصة .. والله لئن أمرني بضرب عنقها لأضربن عنقها .

بذلك القول الصادق أعطى عمر : توكيدا آخر ، معلنا ، بأنه لا يحابي أحدا ، وان كان : ابنته .

ومع ذلك ، وبالرغم من كل ما بذل من ذات روحه العالية .. عطاء ، وجهدا ، وبذلا .. هل كان (عمر) راضيا قريرا ، مطمئنا إلى أنه يؤدي الواجب خير أداء ، وأنه ليس في الامكان أفضل مما كان ؟.. كلا !. فانه تارة يبكي إذا تصادف ورأى أحدا حرم ثمار عدالته ، فيروح يردد في تبكيت : (أهلكت نفسك يا عمر) .. وتارة أخرى ينفرد بنفسه في الطرقات ، فيأخذ تلك النفس الكبيرة ــ التي تعب في مرادها الجسم ــ ويختلى بها هناك بعيدا عن الأعين والآذان ، في (حصة) توبيخ ومعاتبة ، وينبري يصليها محاسبة ، ومناظرة .. يمعن في مقارعتها وايلامها ، والتحرش بها ، وتحديها ، وانذارها .. ثم يستدير عائدا ليخاطب نفسه ككل ، متفكها ، متوعدا ، فيها مس ذاته ، موجها إلى كل شخصيته هذا الخطاب : « بخ بخ يا ابن الخطاب . أصبحت أميرا للمؤمنين » !. اي : ها قد صار لك الأمر .. فأرنا ماذا أنت فاعل ــ يا عمر ــ هل أنت ، يا ترى ، أهل لحمل التبعة ، أم ماذا ؟!

وفي القليل النادر (قد !) يبدو راضيا ، شيئا ما ، عما يبذله من أجل الخير العام .. فاذا حدث واهتزت الأرض ، كما في قصة الزلزال .. لا يتمالك أن يضرب الأرض بالدرة ، وهو يقول لها مخاطبا ، كما اعتاد أن يخاطب أشياء كثيرة :

ــ (اسكتي . ألم أعدل عليك) ؟؟

إنه جريا على عادته في مخاطبة عديد من الأشياء .. مثلما خاطب الأرض متسائلا : لماذا هي تهتز ؟.. لماذا التململ والاهتزاز ، والعدل من فوقها قائم ومنشور .. يحدث أن يخاطب مرة : البطن ــ بطنه ! ــ حينما لم يكن يطعمها سوى (الزيت) ، بعد أن حرم على نفسه السمن لأنه شح حتى لم يجده الناس .. فكانت بطن (عمر) تقرقر .. فيميل متسمعا إلى قرقراتها ، ثم يهتف عاليا

موجها تعليقه لها :

ــ « قرقري ، أو لا تقرقري .. فلا والله ، حتى يجد الناس » ..!!

ومن سلسلة مخاطباته الفريدة تلك .. حدث أنه خاطب (النهر) !.. بل وحرر إليه ــ إلى نهر النيل !ــ رسالة ، حافلة بالأسئلة .. بعث بها إليه على ملأ من القوم .. وجعل شهود واقعة (تصدير الرسالة) ينتظرون من (المرسل إليه !) الرد والاجابة !.. فقد كان من عادة المصريين قديما : أن يلقوا في كل عام إلى جوف ماء النيل : فتاة جميلة ، مزينة بالملابس الملونة الزاهية ، والحلى النفيسة ، تتضوع أعطافها بأريج أندر وأغلى العطور والطيوب .. كانوا يسمونها (عروس النيل) ، وكانت تهدى ــ سنويا ــ إلى النهر ، قربانا وزلفى ، كي يظل يجري ويفيض ويستمر عطاؤه موصولا بالغرين والماء الوفير .. واستمر ذلك (الاجراء) الجاهلي قائما حتى كان الفتح الاسلامي لمصر .. وآذنت مناسبة إلقاء عروس النيل ككل عام .. ولم يستسغ (والي مصر) هذا التقليد ، فأوقف تلك الاجراءات حتى يرد الرد من أمير المؤمنين عمر ، وكان قد رفع إليه تقريرا ضافيا بفحوى تلك المسألة ، وفي نهايته طلب الافادة عاجلا ــ وعاجلا جاء الرد من عمر يأمر الوالي ــ ابتداء ــ بايقاف المهزلة ، حتى تنجلي ، أمام كل الناس : الحقيقة .. ومع الافادة جاءت رسالة من (عمر) موجهة صيغتها إلى (النهر) ، وطلب إلى ابن العاص أن يلقي بها أمام الجموع الحاشدة إلى النهر ذاته . تقول الرسالة :

ــ « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. إلى نيل مصر .. أما بعد .. فان كنت تجري من قبلك ، فلا تجر !. وان كان الواحد القهار يجريك .. فنسأله أن يجريك » !

وألقيت الرسالة ، بعد أن قرئت علانية ، إلى النيل .. وترقب كل الناس ، في فضول عارم (إجابة) النهر .. فكان جوابه ، بطبيعة الحال ، أن ظل يجري ، كمعهود شأنه ، بل وفاض منسوبه عن أى عام سبق ، بلا ضحايا من عذارى بريئات .. وأفاق الغافلون وسحقت بساطة الحقيقة : ظلامات الجهالة .. ومنذ ذلك الحين انتهت الخرافة .

ولأنه (عمر الفاروق) ، الذي فرق بين الحق والباطل ، لا يختلطان ، ولو فصلت بينهما شعرة .. فان هذه الغيرة الشديدة على الحق .. قد تجعل بعض أعماله وأقواله تبدو كما لو كان بها شىء من الحدة غير المألوفة .. لكن سريرته جياشة بالرقة واللطف ، حافلة بفيوض البر والحدب ، واللين أيضا .. في عام المجاعة ، رأى عمر بثاقب نظرته ، وعمق درايته بــ (روح) القانون فضلا على نصوصه : أن يتجاوز عن تطبيق الحد على السارق ، مراعاة لقسوة الظروف .. وفي مشهد آخر نراه يطل على (منظر) يحتدم فيه عويل النساء وبكاؤهن بشكل عنيف مثير ، و .. تأمل المنظر ، ومضى لحال سبيله ، دون تعقيب أو تعليق !.. فلما سئل باستغراب لماذا لم ينههن عن ذلك ، وهو الذي كان ينهي عن تلك

الأفعال .. وكانت الجنازة لوفاة (خالد بن الوليد) .. قال مجيبا :

ـ « دعهن يبكين على أبي سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة .. على مثله تبكي البواكي » .

.. واذا كان الصحاب يشهدون لامرىء بالخلق الحسن .. فالفضل ـ لامراء ـ ما شهدت به الأعداء .. وحتى ألد الأعداء يشهدون لـ (عمر) بالصدق في القول .. وهذا حوار دار في مشهد حزين ، من مشاهد النكسة التي ألمت بالمسلمين في غزوة أحد .. فقد كان المشركون الموتورون ، مزدهين سعداء بنصر عارض لم يتكرر قط .. أشاعوا أن النبي قد قتل في المعركة ، و .. سر كثيرا لذلك النبأ (أبو سفيان بن حرب) ، وأراد أن يتأكد ، فانطلق متلهفا تجاه المعسكر الآخر ، حتى أشرف على الجبل ، ويشرئب بعنقه من فوق جواده وهو يهتف متشفيا : هل ما اذيع ـ يا قوم ـ عن وفاة محمد في المعركة صحيح ؟!.. ويكلف النبي واحدا من ثقاته بالوقوف للرد على المتسائل ، حتى يكون لنفي الخبر وتكذيبه وقعه الصحيح .. وكان المنتدب لهذه المهمة هو (عمر بن الخطاب) .. ففعل عمر ، وكذب في حسم الاشاعة التي روجها (ابن قمئة) .. وكان سؤال ابى سفيان هكذا :

ـ أنشدك الله يا عمر .. أقتلنا محمدا . وهكذا كان جواب عمر :

ـ اللهم لا .. وانه ليسمع كلامك الآن .

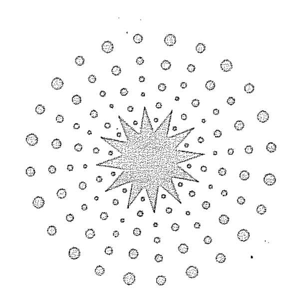
عند ذاك لا يسع الرجل ـ وهو العدو ، المتشكك ـ وقد سمع النفي والتكذيب من (فم عمر) إلا أن يصدق على الفور ، وبلا نقاش .. والا أن يكون تعليقه على هذا النحو :

ـ أنت عندي أصدق من ابن قمئة ، وأبر .

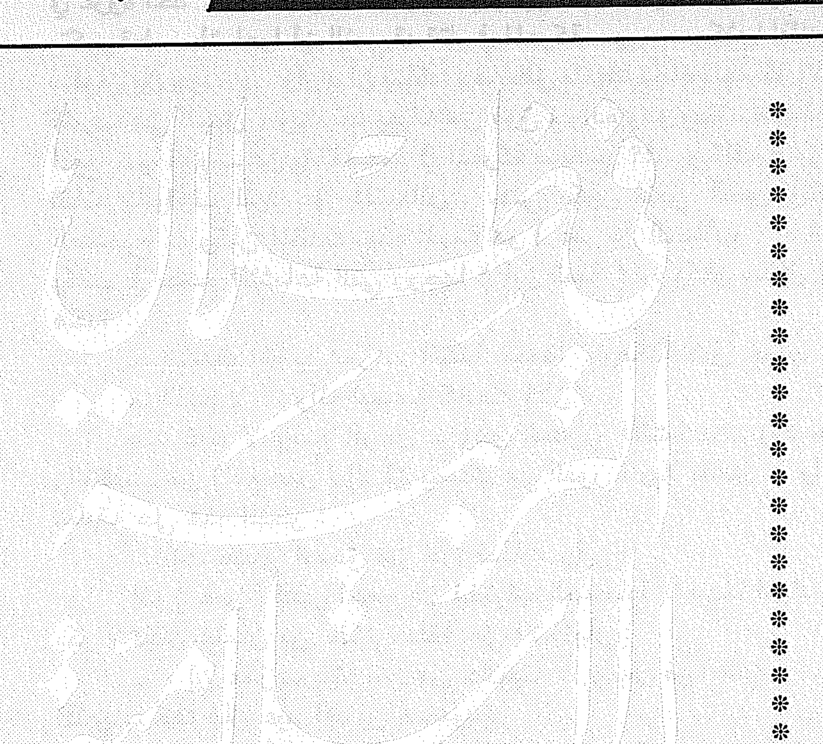
إنه (عمر) الذي أجمع على اختياره الصحابة ، عندما اشتد الوجع بأبى بكر ، فقال عثمان بن عفان معلقا على الاختيار :

ـ « إن عمر سريرته خير من علانيته .. وليس فينا مثله » . وانه (عمر) الذي ـ كما قال عبد الله بن مسعود :

ـ « كان إسلامه فتحا .. وكانت هجرته نصرا .. وكانت إمارته رحمة » .



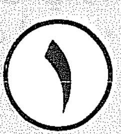




تمهيد :

في العاشر من شهر ديسمبر عام ١٩٤٨ صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يسمى بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وقد جاء فيه : إن للناس ـ باعتبارهم آدميين ـ حقوقا ، يجب على الجميع احترامها ، ومن هذه الحقوق : حق الحرية ، وحق المساواة ، وحق الملكية .

ولكن هل هذا هو أول إعلان لحقوق الانسان ؟ قد يكون هذا بالنسبة للمجتمع العالمي ، اما بالنسبة لبعض المجتمعات فقد سبق شيء من هذا .



للاستاذ علي القاضي

فمنذ قرنين كتب « هيجل » مؤلفه الشهير « فلسفة التاريخ » وتحدث فيه عن حقوق الانسان ، وكان يقصد بذلك حقوق الانسان في المجتمع الأوروبي فقط ، وفي ١٦ من يوليه عام ١٧٨٩ خلال الثورة الفرنسية أعلنت حقوق الانسان عن الجمعية الوطنية الفرنسية ، وقد فهمت أيضا على أساس أنه الانسان الغربي فقط ، ومن هنا ، فقد استمر الاستعمار الغربي يستغل الدول في العالم كله غير مراع إلا حقوق الانسان الغربي فقط ، وكأنه من طينة أخرى غير بقية الشعوب .

وحتى الاعلان الذي جاء عن طريق الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ تم بعد تقسيم فلسطين ، وإعطاء جزء من أرضها إلى الصهيونية العالمية لانشاء دولة لهم على حساب غيرهم ، وعلى أرض ليست لهم ، وكأن المطلوب هو حقوق الانسان اليهودي ومن هنا فقد كان من المقبول ــ حسب هذا المفهوم ــ تشريد الفلسطينيين خارج وطنهم .

والولايات المتحدة الأميركية ــ أبرز اعضاء الأمم المتحدة ــ لم تعلن رسميا إلغاء التفرقة العنصرية ومنح الزنجي حق الانتخاب إلا منذ عشر سنوات تقريبا ، ومع هذا ، فان الاعلان تم من الناحية النظرية اما من الناحية التطبيقية فلا زال "عشرون مليون زنجي أميركي" يعانون من العنصرية الرسمية والشعبية داخل الولايات المتحدة نفسها في جميع المجالات ، ومن ذلك أنه لا يمكن للزنجي أن يرتقي فوق مساعد الحاكم في الولاية ، وليس للزنوج سوى ست عشرة وظيفة سياسية ، مع أن عددهم أكثر من عشرين مليونا فهي إذن حقوق للانسان الأبيض فقط .

وحتى الدراسات العليا والجامعية في الولايات المتحدة الأميركية غير محايدة ، فهي تبرز غير البيض بأنهم قانعون بالأوضاع التي هم عليها ، ذلك لأنهم وضعوهم في إطار خاص ثم جاءوا لهم بمقاييس خاصة قرءوا نتائجها بالاسلوب الذي يريدون .

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة ــ التي أعلنت حقوق الانسان ــ كثيرا من المظالم التي تتعارض مع هذا الاعلان ، الى جانب أن الدول الكبرى فيها احتفظت لنفسها بحق الفيتو ــ الاعتراض ــ ضد اي قرار لا يوافق مصالحها ، أو ترى أي دولة من هذه الدول الكبرى أنه لا يوافق مصالحها ، وليس هذا من العدل في شيء ، وليس من حقوق الانسان في شيء ، اللهم إلا إذا كان المقصود به عدل الدول الكبرى وحقوق الدول الكبرى .

وقد مارست الدول الكبرى أبشع أنواع الافتئات على حقوق الانسان ، ومن ذلك ما فعلته فرنسا في الجزائر منذ عدة سنوات حتى أصبحت معروفة في العالم كله بأنها وطن المليون شهيد ومن تلك أيضا ما فعلته اميركا في فيتنام ، وروسيا في المجر وتشيكوسلوفاكيا ، وانجلترا في افريقيا ضد الشعوب الملونة وضد العالم الاسلامي ، فالقتلى بالملايين والمشوهون كذلك ، الى جانب الجوع والعرى والاضطهاد الذي ينتشر هنا وهناك ، وما تفعله الآن روسيا وكوبا والحبشة في أريتريا حتى اصبح هناك آلاف من المسلمين في العراء يعانون من الشتاء القارس والجوع والعرى وقد قصفت البوارج السوفياتية سواحل أرتريا ، وشقت الطرق أمام القوات السوفياتية والكوبية والاثيوبية لأخضاع هذا الشعب الفقير المناضل من أجل حريته .

مشكلة قديمة :

وحقوق الانسان مشكلة قديمة ، إذ أن مجتمعا ما من المجتمعات في قديم التاريخ لم يعط الانسان حقوقه ، بل إن التفرقة والظلم والاستغلال كانت هي الأساليب الشائعة .. فالمجتمع الاغريقي قديما كان يتكون من المواطنين والأجانب والعبيد .. والعبيد هم الطبقة المستغلة ولم يكن عددهم قليلا بل إن عددهم كان يزيد عشرين ضعفا على عدد السادة ، وكانت أعمال العمال كلها يدوية قاسية فهم للخدمة فقط ، والديمقراطية الاغريقية كانت للاحرار فقط .

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الرومانية وجدنا المناصب العليا قاصرة على النبلاء ، وارتبط التعليم بالنظام الطبقي ، فالتعليم العالي للنبلاء وحدهم ، والقانون الروماني المشهور بالعدالة ، فرق بين السادة والعبيد .

والديانة اليهودية ديانة عنصرية قومية لا تتصف بالشمول ، وهي ذات تطلعات وتنبؤات يريدون تطبيقها بحذافيرها إن أمكنهم بالتعاون مع كل من يؤمن بالتوراة .

والمسيحية جاءت بالمحبة ، ولكنها تركت ما لقيصر لقيصر ، ولكن قيصر حاربها ، ولم يترك لمثلها أن تجني ثمارها بل إنه في كثير من الاحيان شوه رسالتها ، وما أكثر ما قاست الانسانية من انتصار المسيحية على أيدي محاكم التفتيش التي انتشرت فترات طويلة في بلاد كثيرة .. وحتى حرية الرأي لم تعرفها

المسيحية ، فالكنيسة على مدى التاريخ ، تمنع الناس من ابداء آرائهم ، وكانت تحاسبهم على ذلك أشد الحساب ، بل إنها استعملت كل وسائل التعذيب حتى القتل في شمال اوروبا لتدخل أهلها في المسيحية ، ولا زال الناس يتحدثون عن محاكم التفتيش وما صنعته في أوروبا ، وفي الأندلس لتنصير المسلمين ، بل ولا زال المسيحيون يقومون بهذا العمل في تنصير المسلمين في اندونيسيا وفي الفلبين وغيرها ، مستخدمين كل أنواع الترغيب والترهيب مع ان المسلمين على مدى التاريخ أنقذوا المسيحيين من الظلم الواقع عليهم في كل البلاد التي فتحها المسلمون ، وحين دخل المسلمون القدس تركوا للنصارى كل شيء ، وكتب عمر بن الخطاب لهم أمانا وعهدا ، وأبى أن يصلي في كنيستهم حتى لا يطمع فيها أحد من المسلمين ، وعامل المسلمون المسيحيين معاملة كريمة متبعين قول الله تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**) الممتحنة ــ ٨ ــ وأهل الكتاب ــ لهم معاملة كمعاملة المسلمين تماما ، وغير أهل الكتاب لهم هذه المعاملة أيضا ، اللهم إلا في شيئين : نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم ، والمذاهب الحديثة في المجتمعات المختلفة تسير على النهج القديم في التفريق بين الانسان والانسان في الحقوق المختلفة .

فالماركسية أغرقت العالم في بحر من القهر الاستبدادي وما تبعه من تعذيب وقتل وغسيل للمخ في البلاد الشيوعية نفسها ، ثم انتقلت إلى البلاد الأخرى فاغرقتها في بحر من الدماء ، وأشاعت فيها الفوضى ، ورأينا الدماء التي تسيل في شرق آسيا وأفريقية بفعل الماركسية ، فهي تمنع حرية الكلمة ، وحرية الرأي وحرية التفكير وحرية المعتقد ، ولقد أعلنت الشيوعية في روسيا وعدد المسلمين هناك خمسون مليونا وما زالت بهم في التعذيب والتنكيل والتغريب حتى وصل عددهم الى عشرين مليونا ، وقد أصبحوا أغرابا عن كل معاني الحرية .. والشيوعية ــ دائما ــ تستخدم كل الأساليب ضد حرية الانسان ، فالتجسس أسلوب أساسي عندهم في كل مجالات حياتهم ، وما أكثر الكتب التي ألفت في ذلك وما أكثر المعتقلات التي فتحت ، ولا تكاد أي مجموعة في دولة شيوعية أو أي دولة تجد فرصة للمطالبة بالحرية إلا وطالبت بها ، وإن كانت هذه المطالبة لا تأتي بنتيجة ، ولعل آخر هذه المطالبات ، ما حدث في ٦ من يناير عام ١٩٧٩ إذ ظهر ملصق جديد في بكين ــ ولعلها أكثر البلاد ملصقات ــ يقولون عنه : إنه أدى إلى حدوث دوي هائل لدى الأوساط الدبلوماسية ، ولدى المراقبين السياسيين ، وقد أعدته جماعة أطلقت على نفسها اسم (عصبة حقوق الانسان الصينية) طالبت فيه لأول مرة ، وبشكل قوي وملح ، وعلمي ، باطلاق حرية التعبير والافراج عن المعتقلين الذين تعرضوا للسجن بسبب ممارستهم لحرية التعبير ، وإلغاء أجهزة البوليس السري بالصين .

وطالبت الجماعة في الملصق الذي ظهر على حائط الديمقراطية في بكين ،

واستلفت نظر جموع كثيرة من أبناء الشعب الصيني ، وبعض الأجانب ، بنقل جثمان الزعيم الراحل ماوتسي تونج من ضريحه المقام في قلب بكين ، وتحويل الضريح الى قاعة تذكارية .. وأكد الملصق ان الصين قد مرت بفترة تختلط فيها المضحكات بالمبكيات من خلال عشر سنوات منذ بدء الثورة الثقافية .

والاسلام حرم أساليب التجسس وما يتبعه والقرآن الكريم يقول : (**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا**) وشبه هذا بمن يأكل لحم اخيه ميتا (**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا**) الحجرات / ١٢ وأموال الناس ودماؤهم نهب مشاع في الدول الشيوعية بينما هي حرام في المجتمع الاسلامي وفي خطبة حجة الوداع يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** » رواه البخاري

والوجودية :

والوجودية تنادي باطلا بدعوى الارادة والحرية ، وهي تريد جرف الانسان إلى غابة من الحرية المطلقة غير الملتزمة بأي اطار أخلاقي مثالي ، غابة تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الأسرة وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وعلاقة الناس بالدولة ، ولقد كان حصاد ذلك موجات الهيبز المتحللة التي تسود أوروبا .

البراجماتية :

وهي فلسفة تؤله الفرد على حساب المجموع ، وتضع معايير للتقدم والنجاح ، ولا تلقى بالا لعذاب المجتمع في سبيل صعود الفرد ، حتى تصل بالنظام الاقتصادي الرأسمالي إلى مرحلة الاحتكار والاستبداد والقهر المستتر تحت أردية الحرية ، ونتائج هذا ما نشاهده من مظاهر التفسخ الاجتماعي التي تظهر دلائلها الآن في أميركا وتدفع بالمئات إلى الانتحار الجماعي .

التحليلية أو الوضعية المنطقية :

هذه النظرية تسود الآن شمال غرب أوروبا ، وهي فلسفة أغرقت نفسها في التحليلات اللغوية ، وكبلت العقل البشري بقيود الجزئيات على حساب النظرة الشاملة التي تستوعب الحلول واسعة المدى لمشكلات الانسان .

ولو سألنا أنفسنا : لماذا قامت الحرب العالمية الثانية ؟ لوجدنا أن السبب الأساسي هو دعوى النازية الفاشية التي كانت ترى أن الألمان من عنصر خاص يفضل الأمم ويجب أن يسود عليها بالقهر ، إن لم يكن بالرضا .

أوليس من العجيب أن تستمر مسألة المساواة بين أفراد البشرية موضع أخذ ورد وعدم اقتناع حتى الآن ، ولقد نشرت اليونسكو عام ١٩٥٢ بيانا قام بإعداده

جماعة من علماء الوراثة والأجناس الذين لهم شهرتهم على المستوى العالمي ، وقد جاء فيه :

١ ـ أن الجنس البشري جنس واحد ينتمي إلى أصل واحد مشترك .

٢ ـ أن الفروق الطبيعية بين الجماعات البشرية ترجع إلى تنوعات في كل من الوراثة والبيئة .

٣ ـ أنه لا يوجد دليل على وجود أجناس نقية ، فعمليات التهجين في الجنس البشري ما زالت مستمرة منذ وقت طويل جدا .

٤ ـ أن تكافؤ الفرص أمام القانون لا تقوم إطلاقا كمبادىء اخلاقية على فكرة أن البشر متساوون في المواهب .

وبعد أكثر من خمسة وعشرين عاما ، وفي عام ١٩٧٨ نظمت « اليونسكو » مع « جامعة الزقازيق » ندوة عن حقوق الانسان وقد أصدرت عدة توصيات ، تتلخص في :

١ ـ تغيير السلطات الاستثنائية التي تمنحها كثير من الدساتير للحكومات في حالات الطوارىء والظروف غير العادية .

٢ ـ إدخال دراسة حقوق الانسان في كافة المستويات التعليمية .

٣ ـ أن تشمل المناهج تاريخ حقوق الانسان ، والفلسفة التي تقوم عليها ، وأوجه القصور فيها .

٤ ـ إعلان المساواة بين العامل العربي والعامل الأوروبي في الحقـوق ، والمرتبات ، والتأمينات ، والحريات . ومع هذا فلا زال بعض الناس في العالم المتحضر ينشرون مفاهيم مؤداها أن هناك أجناسا متميزة على أجناس اخرى .

وإسرائيل نفسها قامت بتأييد دول العالم المتحضر كله ، وقد قامت على أساس عنصري ، فاسرائيل تعلن على العالم كله أنها عنصر متميز بالذكاء والعلم والحضارة ، كما تعلن أن العرب عنصر معوق للحضارة ، كالزنوج تماما ، وأنها ستقضي عليهم وتريح العالم من شرهم ، وهي تتبع القول بالعمل وتحاول تنفيذ هذه الأفكار وهي مؤيدة من الدول الشرقية والدول الغربية على السواء .

إن كل المذاهب الحديثة تدعو إلى سلام الانسان مع الانسان ، وحتى الان لم تستطع تحقيق هذه الدعوة ، ولا زالت المؤتمرات تنعقد ولا زالت التوصيات تصدر ، ومن ذلك المؤتمر الذي نظمته الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي في يونيه عام ١٩٧٨ بالنيجر ، ثم ندوة تدريس حقوق الانسان التي عقدت بالقاهرة في الفترة من ١٤ ـ ١٦ من شهر ديسمبر عام ١٩٧٨ ، وقد قامت بتنظيمها جامعة الزقازيق بالتعاون مع اليونسكو .

ولعل آخر هذه الجهود ما نشرته مجلة « نيو تايمز » من أن منظمة دولية جديدة بدأت في شهر يناير عام ١٩٧٩ بمجموعة من الأطباء الدانمركيين ، والتي اتسع نطاقها بعد تشكيل منظمة تحمل نفس الهدف من فريق من الاطباء ببوسطن .

ويقول الدكتور « مايكل نيلسون » رئيس هذه المنظمة التي تشكلت في بوسطن : إن منظمتنا قد تشكلت كرد فعل لزيادة استخدام عدد من الدول للتعذيب كوسيلة لمعاقبة خصومها ، وبدرجة جعلت التعذيب يصل إلى صورة وبائية .. وتقوم هذه المنظمة بعمل دراسات حول الآثار النفسية والجسدية للتعذيب على من يتعرض له .

وفي رأي الدكتور نيلسون أن هناك بعض الآثار التي يصعب على الأطباء الذين يقومون بهذه الدراسات تحديدها مثل ـ الكوابيس التي تقتحم أحلام هؤلاء الأشخاص اثناء نومهم والحروق داخل الأماكن الحساسة من الجسم ، ولكن الأطباء سيحاولون حصر الآثار الناجمة عن التعذيب عندما يقومون بدراساتهم على أول مجموعة من ضحايا التعذيب، تضم ٢٥ شخصا معظمهم من أميركا اللاتينية . ويقول الدكتور نيلسون ٠ ان الهدف النهائي من هذه الدراسات هو وضع الملامح البشعة لبعض الحكومات التي تمارس التعذيب أمام أنظار المنظمات القومية والدولية ، حتى تشكل قوة ضغط قادرة على وقف تعذيب الانسان في كل مكان ..

وهكذا تبدو الصورة في نهاية القرن العشرين قاتمة إلى درجة محيرة ، فبينما يجمع العالم كله من الناحية النظرية على المساواة بين الناس ووجوب العدل ، وما إلى ذلك من حقوق الانسان ، إلا أن التطبيق يسير في اتجاه آخر بعيد كل البعد عن المساواة والحرية والعدالة ، بينما الاسلام حين يرعى حقوق الانسان يرعى أولا حقوق الضعفاء يقول الرسول الكريم : « ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » رواه مسلم وأحمد بل إنه يطلب الدفاع عنهم ، والقتال في سبيل حمايتهم قال تعالى : (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها**) النساء / ٧٥ ، ويحذر الرسول الكريم من أن يقف أحد المسلمين موقفا يضرب فيه رجل ظلما ، بأن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدافعوا عنه ، كما روى الطبراني ، كما يحذر من الظلم بصفة عامة ، فيقول الرسول الكريم : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » رواه مسلم ، وينذر القرآن الكريم الظالمين بانه لن يكون لهم يوم القيامة حميم ، ولا شفيع يطاع ، وينادي الرسول الكريم بأعلى صوته يوم حجة الوداع قائلا : « ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ثم يقول : ألاهل بلغت فيقولون : نعم ، فيقول : فليبلغ الشاهد منكم الغائب » رواه البخاري .

وإذا كانت المذاهب المختلفة تدعو إلى سلام الانسان مع الانسان ، فان الاسلام يدعو الى سلام الانسان مع الوجود كله ، سلام الانسان مع الانسان وسلام الانسان مع الحيوان ، وسلام الانسان مع النبات ، وسلام الانسان مع الجماد ، لأن كل هذه الأشياء مخلوقة لله ، والانسان خلقه الله ـ سبحانه

وتعالى ـ ليكون خليفة له في الأرض ، وقد سخر له الارض وما عليها ، ومن هنا وجدنا الحقوق ليست قاصرة على الانسان ، وإذا كانت الدول المتحضرة في العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الانسان ، فان الاسلام قد فرغ من هذا كله منذ أربعة عشر قرنا ، وزاد عليه كثيرا ، ومن هنا وجدنا الرسول الكريم يقول : « في كل ذات كبد حرى أجر » رواه احمد وابن ماجة وما حديث المرأة التي عذبت هرة لها فحبستها عنا ببعيد ، وكذلك حديث الرجل الذي سقى الكلب من البئر حين وجده عطشان فغفر الله له .

بل إن الاباحة في ذبح الحيوانات إنما هي مرهونة بمصلحة الانسان ، فالاسلام يمنع من عقر حيوان إلا للأكل ، ومن هنا كان النحر باسم الله تعالى الذي أباح لنا هذا الذبح للأكل ، ولذلك كان جعل الطائر هدفا للعب أو للتسلية غير جائز على الاطلاق .

والاسلام يحرم على المسلم أن يطأ بقدمه كسرة خبز ، أو ما يؤكل مما يفيد الانسان أو غيره ، من مخلوقات الله تعالى ، لأن في ذلك امتهانا للقمة التي حماها الله ، فاحترام النعمة والمحافظة عليها سببه حاجة مخلوق من مخلوقات الله تعالى من ناحية ، وتقدير لجهد عامل من ناحية أخرى ، وإلى جانب ذلك فيه ابتعاد عن الاسراف ومنع للفساد .

ولو قارنا هذا بما يحدث في أميركا مثلا لوجدنا البون شاسعا ومن ذلك ما ذكرته الاحصاءات الأميركية ، إلى أن ما يلقى بالقمامة في عام واحد بالولايات المتحدة يكفي العالم الثالث الجائع لمدة عام كامل .

وحتى الجماد في الاسلام له حقوق ، ذلك لأن الاسلام دين البناء وعمارة الارض ونشر المعاني والقيم الالهية فيها ، وقد سمي النبي صلوات الله عليه عمامته « السحاب » تكريما لها .. ولكنهم في الغرب يهدمون ، ومن ذلك أنهم حين يريدون أظهار الفرح في عيد الميلاد مثلا ، فانهم يحطمون الزجاجات والكئوس .

الاسلام يبني ، والحضارات الحديثة تهدم ، وتلك هي الخلفية الثقافية لكل ما يقومون به في هذه الحياة .

وإذا كانت الحضارات الحديثة تفتقر الى العدالة ، فان الاسلام يطلب الرحمة ، لا العدالة فقط لجميع المخلوقات في هذه الحياة ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، والرسول صلوات الله عليه يطلب من المسلمين جميعا أن يرحموا من في الأرض حتى يرحمهم من في السماء .

الاسلام وحقوق الانسان :

منذ أربعة عشر قرنا أعلن الاسلام حقوق الانسان كاملة ، والاسلام حين يعلن هذه الحقوق فانما يعلنها باسلوبه الخاص ثم يطبقها التطبيق السليم ، ذلك لأن هذا الاعلام صادر من رب الناس جميعا وهو أدرى بهم وبما يصلح لهم لأنه خالقهم ، ثم إنه ليس بينه وبين أحد منهم صلة إلا العمل الصالح والمسلمون حين

يطبقون هذا فانما يبدءون بتطبيقه من داخل النفس أولا لأنهم يتقربون به إلى الله تعالى ، وهو أعلم بما يسرون وما يعلنون .. أما الاعلانات العالمية أو غيرها فان الذين يقومون بها هم ناس لهم خلفياتهم الثقافية والحضارية التي ينطلقون منها ، ولهم نظرات خاصة ومصالح لا يستطيعون أن يتفلتوا منها ، وهم إن استطاعوا أن ينطلقوا أحيانا انطلاقا سليما من الناحية النظرية فان هذا الانطلاق لا يلبث ان ينحرف في التطبيق بما تقتضيه مصالحهم الخاصة أو على الأقل يتعثرون في تطبيقه تعثرا طويلا ، بحيث لا يظهر لهم تطبيق سليم على امتداد التاريخ في كافة المجتمعات .

وحقوق الانسان كلها في الاسلام تبدأ من وحدانية الله تعالى ، الذي خلق البشر جميعا ، وكرمهم وفضلهم على جميع مخلوقاته ، ورسم لهم المنهج الذي يسيرون عليه لتحقيق رسالتهم في هذه الحياة وطلب منهم ان يطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منهم في الحدود التي رسمها الاسلام .. وكان هذا هو الاعلان الأول لتخليص البشرية مما ران على الأنظار من سلطات الكهنوت ، والوساطة بين الله وخلقه ، ومن صفات القداسة التي ادعاها الملوك والرؤساء ، ومن انحطاط العقل وترديه في الاعتقاد بألوهية حجر أو بقر أو نجم أو شمس أو غير ذلك ، فنادى الناس جميعا : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**) النساء/١

ومحمد الرسول صلوات الله وسلامه عليه طلب من أصحابه ألا يعاملوه معاملة خاصة ، قد تتحول في يوم من الأيام إلى لون من ألوان التقديس ، فيقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبدالله ، ورسوله ، فقولوا عبدالله ورسوله » رواه الدارمي ويبين الرسول الكريم لهم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا ، وأنه لا يعلم الغيب ولو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ، وما مسه السوء ، إن هو إلا نذير وبشير للناس جميعا ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. فأساس التفاضل في الاسلام العمل الصالح ، لا الغنى ، ولا المواطنة ولا الحسب والنسب ، ولا غير ذلك من معاني الجاهلية ، وإن كانت الدول الاسلامية في العصر الحاضر متأثرة بالمفاهيم القومية البعيدة عن الاسلام إلى حد كبير وهو جزء من الثقافة وجزء من الحضارة المستوردة .. وكل إنسان مسئول عن عمله ، وكل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزر وازرة وزر اخرى ، وهكذا يجد المسلم نفسه في ظلال الاسلام ، وحتى النبي عليه الصلاة والسلام حين طمع في أن يؤمن بعض أشراف قريش فتستفيد الدعوة منهم ، ولم يلتفت إلى عبدالله ابن أم مكتوم عاتبه رب العزة على هذا عتابا قاسيا بقوله : (**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى**) عبس /١ ــ ١٠ وكان بعد ذلك يلقاه مرحبا به ويقول : « أهلا بمن عاتبني فيه ربي » وطلب رب العزة من النبي عليه الصلاة والسلام ان يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

يريدون وجهه:(**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) الكهف /٢٨ .

حرية العقيدة :

والاسلام يعلن حرية العقيدة للناس جميعا فيقول في كتابه الكريم : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) البقرة / ٢٥٦ ويبين مهمة رسوله الكريم في قوله : (**إن أنت إلا نذير**) فاطر / ٢٣ ويطلب من رسوله ألا يحزن على الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم:(**يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**) المائدة /٤١ ويعاتب نبيه الكريم لشدة حرصه على إيمان الناس حتى يكاد يهلك نفسه ، فيقول له : (**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**) الكهف/٦ ، ثم يقول بعد ذلك : (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) الكهف /٢٩ وفي النهاية طلب منه أن يعلن للناس جميعا أنه بشر مثلهم يوحي إليه : (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) الكهف / ١١٠ .

وهو يدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل قومه بالتي هي أحسن ، فيقول : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل /١٢٥ .

والاسلام مع المجتمعات الأخرى دعا إلى الحوار الهادىء السلمي الذي يحفظ لكل إنسان حقه في المناقشة ، وابداء وجهة النظر ، وقد طلب البدء بنقاط الاتفاق لأنها تسهل مهمة الحوار بين الأطراف الأخرى:(**قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) آل عمران / ٦٤

والاسلام طلب من كل داعية أن يكون هادىء الطبع ، لين العريكة ، وفي ذلك يقول الله تعالى لنبيه : (**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**) آل عمران / ١٥٩ . ويطلب منه ان يعفو عن أخطائهم ، وأن يستغفر لهم ، وقد حرم الاسلام القتال من أجل الاكراه في الدين ضمانا لحرية الاعتقاد ، ولكنه أعلن الجهاد من أجل حرية كلمة الخير والحق ، وهذا ما لم تفعله أي دولة من الدول ، او منظمة من المنظمات وحتى على مستوى الأسرة لكل فرد فيها حرية العقيدة ، ومما يدل على ذلك أن رجلا من الأنصار ، من بني سالم بن عوف ، وكان له ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدما إلى المدينة في نفر من النصارى فلزمهما

ابوهما وقال لهما : لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال الرجل : يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر ؟ فنزلت الآية الكريمة : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) البقرة / ٢٥٦ ، والاسلام يهتف : (**قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل**) يونس / ١٠٨ ، والاسلام أقام الحرية على دعامتين : الدعامة الأولى حرية التفكير والدعامة الثانية حرية الرأي ، فأما حرية التفكير فان الاسلام يحث عليها ويطالب بها وذلك بأن يسير الناس في الأرض وينظروا ما فيها ثم يفكروا في مخلوقات الله وفي دلائل عظمته ، فقد يكون هذا سببا في إيمانهم ، فيقول : (**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**) الروم / ٢٠ كما يقول : (**أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**) الأعراف / ١٨٥ كما يقول : (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية / ١٧ ــ ٢٠ ، وقد نعى على الذين يتمسكون بما وجدوا عليه آباءهم وقالوا : (**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم**) الزخرف / ٢٣ و ٢٤ .

وأما حرية الرأي فتظهر في أن يقول كل إنسان رأيه في حرية تامة ، ويظهر هذا في التشاور ، وفي الخطابة ، وفي أجهزة الدعاية والاعلام ، وما إلى ذلك .

وفي معركة بدر قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال الحباب رأيه بصراحة : فان هذا ليس بمنزل ، هكذا يقول الحباب في منتهى الوضوح لرسول الله : إن هذا ليس بمنزل ويقول رأيه ، ويأخذ به النبي عليه الصلاة والسلام ، ويغير في أماكن المعركة بما قال الحباب/سيرة ابن هشام .

ومن ذلك ما قالته امرأة لعمر بن الخطاب حين أراد ان يحدد مهور النساء .. كيف تفعل ذلك والله يقول : (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا**) النساء / ٢٠ ، فلا يملك عمر إلا ان يقول : أصابت امرأة واخطأ عمر .

بل إن رجلا من عامة المسلمين يقول لعمر بن الخطاب والله لا نسمع ولا نطيع ، وذلك حين يقول عمر : ايها الناس اسمعوا وأطيعوا ويسأل عمر عن السبب فيعرف أن عمر يلبس لباسا طويلا هو رجل طويل لا يكفيه نصيبه الذي أخذه ، وحين يطمئن الرجل إلى أن امير المؤمنين أخذ جلباب ابنه عبدالله فأضافه إلى لباسه يقول الرجل : أما الآن فاننا نسمع ونطيع .

والاسلام يطلب ان يقول المسلم كلمة الحق في اي موطن ويجعل افضل الجهاد أن

يقول الرجل كلمة الحق عند سلطان جائر ، يخشى منه على نفسه ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه ابو داود ، وذلك يدل على مدى اهمية كلمة الحق في كل وقت وفي كل زمان .
ولكن الاسلام ــ مع ذلك ــ يطلب أن تكون كلمة الحق في إطارها السليم الذي يبني ولا يهدم ، والذي يخدم المجتمع الاسلامي بل والمجتمع الانساني كله ، يقول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**) الأحزاب / ٧٠ و ٧١ وأن يكون الرأي في لفظ حسن وأعصاب هادئة ، لان المسلم ليس بالسباب ولا اللعان ولا الفاحش البذئ.
والمؤمنون الذين يرضى الله عنهم من صفاتهم أنهم يقولون قولا طيبا ، قال تعالى : (**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**) الحج / ٢٤ .
وحرية الرأي في النهاية لها آثار كثيرة ، فهي تؤثر في كيان الفرد ، كما تؤثر في كيان المجتمع فبها يثق الفرد في نفسه ، ويثق أفراد المجتمع بعضهم ببعض ، كما يثق الحاكم في الأمة وتثق الأمة في الحاكم ، ويسعى الجميع للبناء ، البناء السليم المتكامل .

المساواة :

والمساواة بين الناس جميعا مشكلة حارت البرية فيها ، ولكن الاسلام حلها في سهولة ويسر وذلك حين خاطب الناس جميعا ، وبين لهم انهم من أب واحد وأم واحدة وإذا كان قد جعلهم شعوبا وقبائل ، فذلك ليتعارفوا لا ليطغي بعضهم على بعض ، ولا ليستعبد بعضهم بعضا ، وهذا يقتضي المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين أفراد البشرية : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣ .
وفي فتح مكة نادى النبي صلى الله عليه وسلم قريشا ، مذكرا لهم بنعمة الله عليهم ، إذ أبعد عنهم التفاخر بأحساب الجاهلية فقال : « إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء » رواه الترمذي .
وقد اصبح الناس في الاسلام نوعان : نوع بر تقي فهو كريم على الله،ونوع فاجر شقي فهو هين على الله ، وكان مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم » رواه البخاري .
وقد وعى المسلمون الدرس جيدا ، وطبقوه رائعا في جميع مجالات الحياة ، وحين قال أبو ذر لرجل : يا ابن السوداء ؟ وقال له النبي الكريم : « طف الصاع طف الصاع ، ليس لاحد فضل على أحد الا بالدين أو عمل صالح » رواه احمد.أدرك أبو ذر ما وقع فيه من خطأ وسارع بالاعتذار الصادر من القلب حتى إنه قال للرجل : ضع قدمك على خدي ، يريد أن يكفر بذلك عن خطئه .

والشعائر الاسلامية كلها تعمق هذه المعاني في نفوس المسلمين جميعا فصلاة الجماعة والصيام والحج كلها تعمل عملها في تعميق المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامي .

وفي الولايات المتحدة الأميركية لا تزال الفروق قائمة بين المواطنين على أساس اللون والجنس وهي قمة الديمقراطية والحضارة في العصر الحديث ، فصاحب البشرة البيضاء أسمى منزلة ، وأعلى قدرا ، من صاحب البشرة السوداء ، ولا مساواة بين الاثنين أمام القانون ولا في التمتع بالحقوق ، وإن كان الاثنان يحملان الجنسية الأميركية ، والقانون يحمي هذا التمايز ويقره ، بل إن بعض الولايات الأميركية تنص دساتيرها على أن النكاح من شخص أبيض وآخر زنجي يعتبر نكاحا باطلا ، وتنص على أن كل من يطبع أو ينشر أو يوزع ما فيه حث للجمهور أو مجرد اقتراح في هذا السبيل يعتبر عمله جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار ، أو بالسجن مدة لا تتجاوز ستة أشهر ، أو بهاتين العقوبتين .

وبلغت المساواة ذروتها حين يقول الرسول الكريم : « سلمان منا أهل البيت » رواه الحاكم ولا يجد عمر بن الخطاب ما يمنعه من أن يقول : « ابو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا » وهو يقصد بلالا كما يقول حين حضرته الوفاة : « لو كان سالم مولى أبي حذيفة لاستخلفته » وقد أنتجت هذه المساواة الاطمئنان والمحبة التي سادت المجتمع الاسلامي فاصبح المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، كما أصبح التكافل بين أفراد المجتمع الاسلامي كاملا من جميع النواحي .

العدل :

العدل بكل جوانبه أساسي في الاسلام ، العدل واجب بالنسبة للفرد مع نفسه ، وفي ذلك يقول الله تعالى : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص / ٧٧ ، ويقول الرسول الكريم لأحد الصحابة : « إن لبدنك عليك حقا » رواه البخاري ، كما أن العدل حق بالنسبة للمسلم على المسلم ذلك لأن « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه البخاري ، كما أنه حق بالنسبة للناس جميعا ، والله سبحانه وتعالى يقول : **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)** النحل / ٩٠ .

والعدل في الاسلام واجب على كل فرد ، وواجب على الجماعة ، والله سبحانه وتعالى يأمر بذلك : **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** النساء / ٥٨ ، كما أنه سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين جميعا أن يكونوا قوامين لله شهداء ، بالقسط ، تحت أي ظرف من الظروف ، ولو كان مع أناس يكرهونهم ، فالعدل لله سبحانه وتعالى : **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا**

تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة / ٨ .

والعدالة الاسلامية لا تعرف العواطف ، فحتى لو كان الخصم قريبا أو صاحبا ، او والدا ، أو غنيا أو فقيرا ، فالقاضي أو الشاهد لا شأن له بذلك ، والله أولى بالجميع:(**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**) النساء / ١٣٥ .

ويعرض الرسول الكريم مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، يبين مدى خسارة الظالم في الدنيا ، فيقول لأصحابه : أتدرون من المفلس ؟ فيقولون على حسب فهمهم : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ، فيصحح النبي عليه الصلاة والسلام هذا المفهوم بقوله : « المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وصيام وزكاة .. ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » رواه مسلم ، ولذلك فان النبي الكريم كان يقول « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » رواه البخاري ، وقد وعي المسلمون هذه المعاني جيدا ، ولذلك فانهم حين قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قالوا : « يا رسول الله ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ » مع أن هذا المعنى قبل الاسلام كان لا يثير سؤالا لأن معناه كان واضحا ومطبقا عندهم فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أن تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره » رواه البخاري والترمذي واحمد .

فالعدالة اذن من أسس المجتمع الاسلامي ، ولقد طبقت هذه المعاني تطبيقا رائعا شهد له الأعداء والأصدقاء على السواء .

ويسير المسلمون على هذا النهج رافعين راية العدالة المطلقة ، ولقد تعجب من ذلك جعد بن هبيرة فقال لعلي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو استطاع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ، فلهزه علي رضي الله عنه وقال : ان هذا شيء لو كان لي لفعلت ولكن إنما ذلك شيء لله .

وحين جاء يهودي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يختصمان في درع الى شريح القاضي ، ولم يكن عند أمير المؤمنين بينة ولا شهود فحكم القاضي لليهودي فقال اليهودي : هذه أحكام الأنبياء ثم اعترف بان هذه الدرع لأمير المؤمنين سقطت منه فأخذها ، وأسلم اليهودي فوهبها له علي بن أبي طالب .

خاتمة :

ترى لماذا نجح الاسلام في إعطاء كل فرد في المجتمع حقوقه الانسانية كاملة ، بينما فشلت المجتمعات كلها قديمها وحديثها ، في تحقيق هذه المبادىء على مستوى عام ؟

سؤال صعب ولكن لا بد من الاجابة عليه .. لعل السبب في ذلك آنه أولا أوامر صادرة من الله سبحانه وتعالى لا وصايا ، أوامر تشريعية مقررة بنصوص تشريعية لضمان تنفيذها بقوة الضمير النابع من داخل المسلم امتثالا لأوامر الله أولا ، وبقوة القانون الاسلامي ثانيا ، وقد جعل الاسلام تقدير العقوبة لرجال السلطة والقضاء كلما انتهكت هذه الحقوق ، وهو ما لم يصل إليه نص من نصوص الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ولا نصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للانسان فهي لا تخرج عن كونها توصيات أدبية .

وقبل هذا كله فالمسلم يعلم أن له رسالة في هذه الحياة وهي تحقيق خلافة الله في الأرض ، وهي خلافة قائمة على أساس التساوى الكامل بين الناس جميعا ، وفي الوقت نفسه خلافة ليس فيها وساطة بين العبد وربه تحت أي ظرف:(**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**) البقرة / ١٨٦ ، خلافة ملتزمة بمبادىء شريعة الله التي تحقق المصلحة العامة للناس جميعا ، والقانون وحده لا يصل الى كل إنسان ولا يمكن أن ينفذ إلا في ظروف خاصة ، ومن هنا فقد كان الاحسان أساسيا في الاسلام ومعناه أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فان الله يراه كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه البخاري .. ومن هنا أطلق الاسلام على الدعوة الاسلامية تعبيرا دقيقا يدل على مدى ملاءمة الاسلام للمجتمعات فقد أطلق على دعوته : الدعوة إلى الحياة .. الحياة الحرة الكريمة ، الحياة التي يحقق فيها المسلم رسالته على هذه الأرض يقول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**) الانفال / ٢٤ .

فقد اعتبر الاسلام حل تلك المشكلات الانسانية الحيوية ملازما لدعوة الله في الأرض والايمان بالله رب العالمين ، وقد تنبهت إلى ذلك الدكتورة « لورا فاجليري » فقالت في كتابها تفسير الاسلام : (تحررت الروح من التعصب ، وتحررت إرادة الانسان من الروابط التي طالما ربطتها بارادة الاخرين) .

والاحساس بالتفوق العقائدي عند المسلم هو سر بقاء الأمة الاسلامية وعصمتها من الفناء رغم وقوعها تحت النفوذ الساحق لخصمها الشرس الذي يملك من وسائل التغريب بل والافناء والتدمير ما لم يتح لمنتصر على طول العصور .

ولن يعطي الانسان حقوقه في هذا العالم الممزق إلا إذا اتبع شريعة الاسلام ، وطبق تعاليمها ، حينئذ يتغير وجه المجتمع ، ويحس كل فرد من أفراد الانسانية انه قد ولد من جديد ، وعاش حياة ملؤها السعادة والاطمئنان .



للدكتور محمد محمد الشرقاوي

وهؤلاء هم الذين نزل فيهم قوله تعالى : (**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله**) البقرة/ ١٩٦ وفيهم أيضا ورد الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قد أحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق وجامع نساءه ونحر هديه .. حتى اعتمر عاما قابلا) والترتيب هنا بين الحلق والجماع والنحر غير مراد للراوي والواو العاطفة بين هذه الأمور الثلاثة لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا .. بدليل حديث المسور بن مخرمة في البخاري : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر قبل أن يحلق وأمر أصحابه بذلك) وهذه الرواية تحكى فعله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية ، وهي التي أحصره فيها الأعداء ومنعوه عن دخول مكة هو وأصحابه ظلما وبدون وجه حق ..

وفي هذا الموضوع المطروح للبحث جاء أيضا حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه قالت : (دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير ابن عبدالمطلب فقالت : يا رسول الله .. إني أريد الحج وأنا شاكية (أى عرضة للمرض) فقال النبي

صلى الله عليه وسلم : حجي واشترطي : أن محلي حيث حبستني) أى خذي شرطا على ربك وقت إيقاع الاحرام بأنه لو أصابك مرض مانع من اتمام النسك كان من حقك في أى مكان أن تتحلى من الاحرام مجانا وبدون هدى يجب علي تقديمه للخروج من الاحرام .. وهذا منتهى اليسر لمن حضره مرض أو غيره حيث يكفيه أن ينوي بقلبه التحلل في نفس المكان الذي أحصر فيه بعد يأسه من الخلاص ، وظنه بفوات النسك في موعده المناسب .. وبه أخذ أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

ومما ورد في هذا الموضوع كذلك حديث عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل) رواه الخمسة وحسنه الترمذي . إلا أن أكثر العلماء لم يتقبلوا رواية عكرمة هذه .. فتكون محاور هذا الموضوع التي يدور حولها البحث هي الثلاثة الأحاديث الأول .. لأنها في الصحيح ، وفي خصوص الاحصار .. فضلا عما تدل عليه الآية الكريمة السابقة عليها .. فالآية تنص على أن من أحصر أى منع بعد الاحرام من إتمام ما أحرم من أجله من حج أو عمرة أو هما معا بأى سبب من الموانع يستوي في ذلك العدو والمرض والخوف وموت المحرم المرافق للمرأة أو الزوج ، وفقدان نفقة أو ضلال عن الطريق .. عملا باطلاق كلمة الاحصار .. إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقرر علماء أصول الفقه ، وإحصار الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وقع عام الحديبية في السنة السادسة من الهجرة وإن كان سببه تصدي الأعداء بالقوة المسلحة .. إلا أنه يعتبر واحدا من مفاهيم الاحصار وليس هو كل ما يدل على الاحصار .. ولذا لا يتقيد به النص القرآني العام .. أقول : إن من أحصر وغلب على ظنه طول الاحصار بحيث يفوت منه المقصود .. ويلحقه الضيق والحرج لو بقي مقيدا باحرامه فانه يتحلل من هذا الاحرام بذبح ما تيسر من الهدى وأقله شاة ، وأنه لا يحلق رأسه ليخرج بذلك الحلق من احرامه إلا بعد ان يبلغ الهدى مكان حله ويذبح في الحرم .. هذا هو منطوق الآية بحسب ظاهرها .. إلا أن نظرة الفقهاء لهذه الآية الكريمة مع ما احتف بها من الأحاديث السالفة الذكر جعلتهم يخرجون على الناس بآراء شتى : —

أولها وهو من أيسرها ما ذهب إليه مالك رحمه الله تعالى من أنه لا دليل في لفظ الآية على الوجوب وأقل ما تفيده هو الندب للذبح ويستدل على ذلك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان قد نحر هديه في الحديبية قبل أن يحل لكن صحابته لم يكن معهم جميعا هدى .. ولم يأمرهم به ولا ببدله من إطعام أو صيام ، ولم يعلم أنه أمرهم بقضاء شئ .. أو العودة بشئ .. والذي حدث أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما ذبح هديه وتحلل ورجع في العام السادس الهجري الى المدينة

عاد في العام السابع معتمرا عمرة أخرى قد تكون قضاء عن السابقة ، وقد تكون مبتدأة ، وقد علمنا من تواطؤ الأحاديث أنه عاد معه بعض الصحابة .

وتخلف عنه البعض بلا ضرورة داعية .. أو سبب ملجئ الى التخلف .. فلو لزمهم قضاء أو غيره لأمرهم به ، ولا يلزم بالضرورة أن تكون العمرة الثانية قضاء عن الأولى ، وان سميت عمرة القضاء لأنه يحتمل أنها سميت بذلك كما سميت بعمرة القضية للمقاضاة التي وقعت بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، ولا دليل في سوق الهدى على الوجوب لأنه صلى الله عليه وسلم ساقه من المدينة متنفلا به قبل أن يقع الاحصار ، وهو المعنى في قوله تعالى : **(والهدى معكوفا أن يبلغ محله)** الفتح / ٢٥ فالآية ليس فيها دليل على الوجوب بل فيها دليل على الوقوع المحتمل للوجوب أو الندب ، فيثبت الأقل منهما وهو الندب .. أخرج مالك في موطئه بلاغا : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل هو وأصحابه بالحديبية ، فنحروا الهدى وحلقوا رءوسهم وحلوا من كل شئ قبل أن يطوفوا بالبيت وقبل أن يصل إليه الهدى) .. وقد حمل مالك الآية الكريمة على حال من ساق الهدى معه قبل وقوع الاحصار له كما وقع للرسول .. وأنه إن تيسر إرساله إلى الحرم لذبحه هناك وجب عليه إرساله .. وإن لم يتيسر .. ذبحه حيث وقع الاحصار في أى زمان أو مكان .. وهكذا ينتهي المذهب المالكي في الاحصار إلى ما يأتي :

(١) الاحصار كما يكون بالعدو يكون بغيره .

(٢) التحلل يكون بمجرد النية القلبية ما دام الاحصار ظلما أو على الرغم منه .

فمتى نوى الخروج من الاحرام في حال إحصاره صار حلالا .. فلا يحرم عليه شئ مما كان يحرم على المحرم .

(٣) الحلق في هذه الحال سنة وليس بواجب .

(٤) الهدى وذبحه وإرساله إلى الحرم ليس بواجب في الاحصار في حال عدم سوقه معه .

(٥) من ساق معه هديا قبل وقوع الاحصار وجب عليه إرساله إلى الحرم ليذبح فيه ثم يتحلل ... وهذا إن تيسر إرساله .. فان لم يتيسر ذبحه حيث كان وفي أى زمان .

(٦) يحمل قوله تعالى : **(فان أحصرتم فما استيسر من الهدى)** على حال سوق الهدى فقط .

(٧) في كل الأحوال يجب عليه القضاء من قابل وجوبا في الحج .. وندبا في العمرة وعليه هدى لفوات الحج يؤخره إلى سنة القضاء .

والحكمة المستوحاة من هذا التحلل المبكر هو رفع الحرج المتوقع من استدامة الاحرام لأجل غير مسمى .

أما الحنفية فقد رأوا أن الاحصار شامل لكل الموانع من عدو أو مرض أو خوف أو نحوه عملا بعموم كلمة الاحصار .. إلا أنهم يوجبون إرسال

الهدى وأقله الشاة إلى الحرم لتذبح في أى جزء منه ويواعد من يرسل الهدى معه على زمان معين لايقاع الذبح فيه بحيث لا يحل المحرم قبل هذا الوقت .. وبحيث لو حل وظهر فيما بعد أن الهدى لم يذبح في وقته المعين وجب عليه الجزاء ، ويرون في هذا الارتباط في الآية الكريمة بين الاحصار وبين ما استيسر من الهدى أسلوبا من أساليب الوجوب التي تميزت بها أساليب القرآن الكريم مثل قوله تعالى : **(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** البقرة / ١٨٤ أى يجب عليه قضاء عدة .. وهذا محل إجماع .. ويستدلون لذلك بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين منعه الكفار حيث ذبح هديه أولا ثم تحلل ثانيا وأمر أصحابه الذين كانوا معه بذلك والأمر دليل الوجوب عند الاطلاق .. وأما ما سكت عنه ولم يبين بعد ذلك من أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بعض الصحابة بشئ .. فهو أمر لا دليل عليه إذ السكوت عن الحكم لا يفيد حكما .. ويرون كذلك أن ثمن الهدى يقوم مقامه في حال فقدانه وحينئذ يشتري به الهدى ليذبح في الحرم في الوقت المحدد للذبح حتى يتسنى إيقاع التحلل بعد الذبح لا قبله ، وأما الحلق عندهم فليس بشرط وإن كان حسنا لأن التحلل هنا بالذبح ما دام لم يدرك مكة بعد انقضاء يوم عرفة الى فجر العاشر .. أما لو أدرك مكة بعد انقضاء يوم عرفة فانه حينئذ لا يتحلل بالذبح بل بالعمرة وهذه العمرة لا تجزئ عن عمرة الاسلام بل هي عمرة التحلل .. ثم إن كان مفردا بالحج في حال الذبح فعليه من قابل حجة وعمرة .. وان كان مفردا بالعمرة فعليه وجوبا عمرة مكانها فقط ، وان كان قارنا بعث بهديين : أحدهما عن التحلل من إحرام الحج والآخر عن التحلل من إحرام العمرة ، وعليه من قابل حجة وعمرة للقضاء وعمرة الاسلام ، وأبو حنيفة لا يرى التقيد بزمان مخصوص في ذبيحة التحلل من الاحصار لأنه يشبه دم العقوبة ولهذا لا يجوز الأكل منه وذلك لأن الآية الكريمة حددت المكان دون الزمان فان أكل منه تصدق بقيمة ما أكل .. حتى إذا لم يجد هديا ولا ثمن الهدى يبقى محرما أبدا حتى يجده فيتحلل به .. أو يبقى محرما إلى ان يفوت الحج بفوات موعده فيتحلل بأعمال العمرة .. فان استمر الاحصار حتى بعد فوات موعد الحج ، ولم يستطع الوصول إلى مكة ليتحلل بأعمال العمرة فعلى رأى أبى حنيفة المتقدم يبقى محرما أبدا .. ولكن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة يرى أن يقوم الهدى طعاما ويتصدق على كل مسكين بنصف صاع .. ويجوز التصدق بها جميعا لواحد .. أو يصوم مكان كل مسكين يوما فيتحلل بذلك .. وقد رواه أبو يوسف عن عطاء وقال في الأمالي : وهذا أحب إلي وإلينا أيضا .. وفي حال الاحصار كما اسلفنا لا يجوز التحلل بأعمال العمرة إلا بعد فوات يوم عرفة إلى فجر

الكتاب الأول : أبو بكر الصديق

واجهت أبا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أربع محن : الشك في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .. والردة ومنع الزكاة .. والتنبؤ .. ثم الغارة المتوقعة من نصارى الشام ..

وقد تغلب عليها الخليفة الأول في خلافته القصيرة (سنتين وبضعة أشهر) .

وقد بايع المسلمون أبا بكر يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ، لما يعرفونه له من فضل : فهو أول من أسلم من الرجال ، وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، وهو من اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي بالناس حين ثقل عليه المرض .. (ولم يعرف قط أن أبا بكر قال أو صنع شيئا ، يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم إلى ان مات (الرسول) ، ذلك إلى إيثاره المسلمين على نفسه ، وانفاق ماله في معونتهم) .. (وقد آثره النبي صلى الله عليه وسلم بحبه حتى كان أحب الرجال إليه ..) .

[والمهم أن أحدا لم يخالف على أبى بكر ، لا من بني هاشم ، ولا من غيرهم ، وكل ما يقال غير هذا ، إنما تكلفه المتكلفون بآخرة ، حين افترق المسلمون شيعا وأحزابا] .

(والواقع أن القرآن لم يشرع نظاما لاختيار الخلفاء ، وأن السنة كذلك لم تشر إلى هذا النظام ، وانما تعود المسلمون نظام البيعة أيام النبي صلى الله عليه وسلم حين كانوا يبايعون على الاسلام بمكة قبل الهجرة ، وحين بايعه نقباء الأنصار ، على أن يؤووه وينصروه ، ويسمعوا له ويطيعوا ، وحين كانوا يبايعونه على مثل ذلك في المدينة ، فاستقر في نفوس المسلمين من أجل هذا ، أن الخلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجري أمرها مجرى سلطان النبي في حياته ، أى تقوم على المبايعة) .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ، فقد كان التحلل من بيعته معناه ، النكث للعهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الله عز وجل ..

(.. اما بيعة الناس للخلفاء ، فهي عقد بينهم وبين هؤلاء الخلفاء ، لا يجوز لخليفة أن ينقضه .. ولا يجوز لأحد من الرعية أن ينقضه أيضا ، لأن الله يأمر بالوفاء بالعهد في غير موضع من القرآن ، فيقول مثلا في سورة الاسراء : **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)** الاسراء/٣٤ .. فان نكث الخليفة عهده فانحرف عن الكتاب والسنة ، فلا طاعة له على رعيته ، ومن حقها أن تطالبه بالوفاء بالعهد ، فان لم يستقم

فلهم أن يبرأوا منه ، وأن يلتمسوا لهم خليفة غيره ، واذا بغى بعض الرعية فنقض عهده ، وجب على الخليفة أن يراجعه في ذلك ، والا قاتله ، حتى يفيء إلى أمر الله) .

(وليس بد من أن تتم البيعة بين الخليفة والممثلين للمسلمين ، من أعلام الأمة وقادتها ، حتى حين يرضى الخليفة القائم لرجل من بعده ، كائناً ما يكون هذا الرجل) .

(فلم يكن استخلاف أبى بكر لعمر إلا ترشيحا له ، ولم يكن ما انتهى إليه أمر الشورى من اختيار عثمان إلا ترشيحا له أيضا ، وكلا الرجلين لم يستطع أن يقوم بشيء من أمور المسلمين ، إلا بعد أن تمت البيعة بينه وبينهم) .

(فالبيعة إذن هي الركن الأساسي للخلافة ، ومن أجل هذا كره المسلمون في صدر الاسلام أن تنتقل الخلافة من الآباء إلى الأبناء بالميراث ، على نحو ما كان الأكاسرة يصنعون) .

......

وكان مما أعلنه أبو بكر إلى المسلمين بعد البيعة ، أنه متبع وليس بمبتدع ، ولذلك كان أول ما صنعه هو إنفاذ جيش أسامة إلى الشام ، حيث أمر رسول الله أن يمضي ، وبعد عودته سالما غانما ، أنفذ أبو بكر أحد عشر قائدا لحرب المرتدين ، ومانعى الزكاة ، منهم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، ذلك أن الجزيرة العربية كانت قد كفرت كلها ، إلا أفرادا من المسلمين ، ظلوا على دينهم ، ولكن الله أتاح للمسلمين النصر في وقت قصير .

(كل ذلك في هدوء أى هدوء كأن أبا بكر لم تعرض له محنة ، ولم تنتقض عليه العرب ، فقد أظهر أبو بكر في هذه المحنة أخص صفتين امتاز بهما ، وهما الاطمئنان إلى ما وعد الله في غير تردد ، أو تعرض للشك أو الوهن ، والثبات في حزم وعزم لما يلم به من المكروه ، حتى ينفذ منه ، ويمضي في أمر الله ألى أن يبلغ النصر) .

وقد كانت استهانة العرب المرتدين بالمسلمين عامة ، وبأبى بكر خاصة ، سببا في خروج أبى بكر عما عرف عنه من لين الجانب ، ورقة القلب ، وايثار الرفق على العنف ، إلى شيء كثير من العنف ، والشدة مع المرتدين .

......

وكان ثمة خلاف بين موقف الشيخين : أبى بكر وعمر ، بازاء خالد بن الوليد ، وقد أبلى بلاء حسنا في حروب الردة ، واستخلص العراق من أيدي الفرس ، ولكن كان به شيء كثير من العنف ، والاسراف في القتل ، كما كان محبا للتزوج ، وبه عجب وخيلاء .

(.. فقد نظر أبو بكر إلى أن خالدا رجل حرب ، والى أنه أبرع قواده ، والى ان الاسراع إلى عزل القواد أثناء الحرب مضيعة لمصلحة المسلمين ، ويوشك أن يوهن عزائمهم ، وان يفسد عليهم أمرهم بازاء العدو) .

ولكن عمر (.. كان يريد أن يكون

القواد حراصا أشد الحرص على العدل والنصفة ، وأبعد عن السرف والجور .. وكان أمر الدين ومثله العليا آثر عنده من أمر الحرب ، وما يكون فيها من انتصار أو هزيمة .. وما يكون فيها وفي أعقابها من إخافة للناس ، وترهيب لهم) .

(.. ومن هنا أصر أبو بكر على الانتفاع بقوة خالد ، وعلى ملاحظته ، يكفكفه إذا تجاوز القصد في الحرب ، ويعنفه إذا تجاوز القصد في أمر من أمور نفسه ..) .

.. في حين رأى عمر أن يعزل خالدا ، فلما أبى عليه ذلك أبو بكر سمع وأطاع ، حتى أتيح له في خلافته هو أن يعزله وأن يبعده عن الحرب حتى أدركه الموت ، وقد جاء عزل خالد ، وكان فور وفاة أبى بكر ــ وهو في الشام ، وقد تم له النصر على الروم ، وجعلت الامارة لأبى عبيدة .

......

ولم تتصل خلافة أبى بكر إلا سنتين وأشهرا ، كانت كلها خلافة حرب في الجزيرة العربية ، والعراق والشام ..

(.. ولا نعرف لأبى بكر شيئا امتاز به عن عمر ، في سياسة المسلمين الداخلية ، إلا أمرين اثنين .. أحدهما : أن الفيء كان يأتيه بعد انتصار قواده في حروب الردة ، وبعد انتصار خالد في العراق ..) .

وكان أبو بكر لا يفرق في القسمة بين السابقين إلى الاسلام ، والمجاهدين مع الرسول وغيرهم ، وقد خالف عمر هذا المذهب .

وثانيهما : أن أبا بكر بخلاف عمر ..

(.. لم يرم الفرس والروم في العراق والشام ، إلا بمن ثبت على إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يمنع العائدين من ردتهم إلى الاسلام ، من المشاركة في الفتح عقوبة لهم من جهة ، واشفاقا منهم من جهة أخرى) .

......

وأمر آخر لم يقبل عليه أبو بكر ــ عن مشورة عمر ــ إلا بعد تردد ، وهو جمع القرآن ..

وقد كلف بذلك زيد بن ثابت ، وكان يكتب الوحي للرسول بالمدينة ، فاجتمع بذلك أول مصحف كتب فيه القرآن ، وقد ظل هذا المصحف عند الشيخين ــ أو عند عمر وحده ، ثم عند حفصة أم المؤمنين ، حتى طلبه منها عثمان ، واعتمد عليه في نسخ المصحف الامام ، الذي أرسله إلى الأمصار .

وكان القصد من جمع القرآن ، هو حفظ نصوصه من أن تذهب بموت الذين يحفظونها في صدورهم ، أو يحتفظوا بها مكتوبة ، أما المصحف الامام فقد أريد به جمع الناس على قراءة لا يختلفون فيها .

......

وتوفى أبو بكر رحمه الله يوم الاثنين ، لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وكانت سنه ثلاثا وستين سنة ، وقد استوفى بها سن رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

وفي مرض وفاته ، أدى أبو بكر للاسلام والمسلمين أجل خدمة ، أداها رجل بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي استخلافه عمر بن الخطاب .

. . . . . .

الكتاب الثاني .. عمر بن الخطاب

(ليس عجيبا أن يقول ابن مسعود فيما تحدث عنه الرواة : « كان إسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة » .. وكلمة ابن مسعود هذه على اختصارها ، هي أدق وصف يختصر حياة عمر منذ أسلم إلى أن توفى ، فقد كان إسلامه فتحا حقا ، لأنه أتاح للمسلمين أن يعلنوا دينهم ، وأن يصلوا أمام الملأ من قريش وهم آمنون ، وكانت هجرته نصرا ، فقد كان أنصح أعوان النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة لله ورسوله والمسلمين ، وأغلظ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على اليهود ، والمنافقين ، وكانت إمارته رحمة ، فقد أتاح للمسلمين أثناء خلافته لونا من الحياة ، ما زالت الأمم المتحضرة الآن في الغرب مقصرة عن بلوغه ، على شدة ما تجتهد وتجاهد في سبيله ، وما زال المسلمون في هذه الأيام يرون هذا اللون من الحياة ، التي أتاحها عمر للناس حلما ، ولا يدرون متى يصبح حقيقة ، على ما أتيح لهم ، وما يتاح لهم ، في كل يوم من الوسائل ، التي تعينهم على تيسير الحياة .. ولم يكن عمر يملك من هذه الوسائل شيئا) .

. . . . . .

وقد أسلم عمر في السنة السادسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سنه ستا وعشرين سنة .

وكثيرا ما نزل الوحي مطابقا لرأى عمر : في تحريم الخمر ، والحجاب ، وعدم الصلاة على المنافقين الفاسقين ، ورفض الفداء ، وقتل الأسرى ، وفي حرمة بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

أما مراجعته لأبى بكر في خلافته ، فقد أثبتت التجربة في غير قليل من الحالات صواب رأيه .

. . . . . .

وفي خلافته البالغة عشر سنين وأشهرا ، تم فتح العراق ، وبلاد « كسرى يزدجرد » إلا أقلها بقيادة سعد بن أبى وقاص ، وتم فتح الشام بقيادة عبيدة بن الجراح ، وأمر عليها معاوية بن أبى سفيان ، وعقد بنفسه الصلح مع بيت المقدس ، كما فتحت مصر وبرقة بقيادة عمرو بن العاص .

وكان عمر أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من اتخذ عام الهجرة بدءا للتاريخ الاسلامي .

وكان يتلقى ــ أكثر جدا مما يتوقع ــ أخماس الغنائم ، وخراج أرض المعاهدين ، وجزية المغلوبين ممن لم يسلموا ، وأشار عليه الوليد ابن هشام بن المغيرة بالرأى الصواب وهو ألا يقسم المال على الناس لغير غرض معروف ، وانما لتجنيد الجنود .. ولذلك كلف من كتب الناس على قبائلهم ، ثم يدخر ما يفيض بعد

عطاء الجند ، وعطاء أسرهم ببيت المال ، ليكون عدة للأحداث .

......

وبخلاف أبى بكر – كما سبق القول – فقد فرق عمر بين الناس في العطاء ، على أساس اختلافهم في السن ، وفي درجة القرابة للنبي ، والقرب منه ، والسبق إلى الاسلام ، والمشاركة في الغزوات ، والانتماء إلى المهاجرين ، أو الأنصار ، وقد بلغ بالعطاء اللقيط والطفل منذ ولادته ، دون انتظار فطامه .

(.. ونظام العطاء هذا كما فرضه عمر جديد من جميع نواحيه ، لا نعرف أن أمة من الأمم التي سبقت إلى الحضارة عرفته ، أو عرفت شيئا قريبا منه ، وما أظن أن الحضارة الحديثة وفقت إليه .. وكل ما وصلت إليه الحضارة الحديثة في بعض البلاد ، ووصلت إليه بأخرة ، هو التأمين الاجتماعي الذي تؤخذ نفقاته من الناس ، لترد عليهم بعد ذلك) .

(.. على أن سياسة عمر هذه ، لم تتصل بعد وفاته ، إلا شطرا من حياة عثمان ، ثم عدل عن هذا النظام ، حين أنكر الناس على عثمان كثرة ما يعطي لبعض الناس) .

وبذلك قصر العطاء على الجند والشيوخ ، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر يفرض العطاء للأطفال ، لأنه كان يرى ذلك حقا لهم ، وليس لتشجيع الناس على الاكثار من الولد ، كما تفعل بعض الدول الحديثة ، حين يقل بها عدد المواليد ، وتتعرض للنقصان ، وكان عمر يقول : « لئن زاد المال لأعدنه لهم عدا ، فان أعياني لأكيلنه لهم كيلا ، فان أعياني لأحسونه لهم بغير حساب » .

وفي عام الرمادة حيث اشتد الجدب تسعة أشهر ، كان يكثر من القول : « نطعم ما وجدنا الطعام ، فاذا لم نجد أدخلنا على كل أهل بيت عدتهم ، فشاركوهم في طعامهم فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم » .

......

وبلغت رعاية عمر لشئون الدين جملة على أن : [يبتكر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أيام أبى بكر ، فهو الذي سن صلاة التراويح ، وهو من جعل حد شرب الخمر ثمانين جلدة ، بمشورة من علي بن أبى طالب ، ويكفي لكي ندلل على أن عمر لم يكن يخاف في الله لومة لائم ، أنه أقام الحد على ابنه عبد الرحمن الأوسط لشربه الخمر ، حتى مات فلم يظهر حزنا عليه] .

وقد أنشأ نظام القضاء ، وعممه في الأمصار ، كما عمم ما كان قائما منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم من إرسال المعلمين إلى الأمصار ، ليقرئوا الناس القرآن ، ويعلموهم شرائع دينهم .

(وكان عمر أول من أخذ الدرة يؤدب بها الناس ، إن جاروا عن القصد قليلا ، أو كثيرا ، لا يفرق في ذلك بين كبار الصحابة ، وغيرهم من الناس) .

(وقد هم عمر أن يكتب السنة ، فاستخار الله في ذلك شهرا ، ثم عدل عنه وقال : « ذكرت قوما كتبوا كتابا ، فاقبلوا عليه ، ونسوا كتاب الله » .. واذا دل هذا على شيء ، فانما يدل بنحو خاص ، على تردد عمر في رواية الحديث ، فكيف بكتابة ما حفظ و ، وما حفظ الناس من حديث النبي ، وكل هذا يصور احتياط عمر للدين ، وشدة حرصه على ألا يعرضه لشيء من الشك ، أو الخطأ) .

......

(وكان يختار لولاية الأمصار أولى القوة والكفاية ، وان كانوا من الذين أسلموا بأخرة ، ويترك الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) خوفا من ان يفتتنوا ، أو يفتنوا الناس ، كما كان يمنعهم ، ويمنع قريشا من الخروج إلى الأمصار للسبب نفسه ، وكان لا يولي عاملا إلا كتب ماله قبل أن يذهب إلى مصره ، فاذا عاد معزولا حاسبه ، فان وجد في ماله زيادة غير مقبولة ، قاسمه ماله .

......

وذات صباح من سنة ثلاث وعشرين ، وهو يسوى الصفوف للصلاة ، طعنه « أبو لؤلؤة » وهو عبد عجمي ، فجعل عمر أمر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة : علي ، عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وأمرهم أن يختاروا أحدهم ، وأن يحضرهم ابنه عبد الله وابن عمه سعيد ابن زيد بن عمرو ، على ألا يكون لهما في الأمر شيء ، وأمر ابنه عبد الله أن يضمنه في دينه لبيت المال ، فلم يمض الأسبوع على دفنه حتى أدى عبد الله الدين إلى عثمان .

وبوفاته ختم أروع فصل في تاريخ الاسلام والمسلمين ، منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر الدهر ..

(ولم يكن عمر يعرف قانونا ، إلا القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، ولم تكن له شرطة يستعين بها على حفظ الأمن والنظام ، ولكنه ساس المسلمين على نحو جعلهم جميعا شرطة له في المدينة ، وشرطة لولاته في الأمصار) .

وقد ثار عبيد الله بن عمر لقتل والده ، وأسرع فقتل الهرمزان ، وكان ملكا من ملوك الفرس ، أو كبيرا من كبرائهم ، وجفينة وكان مسيحيا ، وصبية لأبى لؤلؤة كانت تزعم أنها مسلمة ، وقد عفا عثمان عن عبيد الله ، وأدى دية الرجلين والصبية ، فأنكر الناس ذلك ، وكان من أسباب الفرقة بين المسلمين .

وتوفي رحمه الله يوم الخميس ، وكانت طعنته الاربعاء .

(وقد أمر بالقصد في كفنه ، وأمر بألا يجعل في حنوطه مسك ، فدل ذلك على أن الشهداء إنما يدفنون على هيئتهم ساعة يقتلون ، إذا استشهدوا في ميدان القتال ، فأما إذا استشهد المسلم لأن عاديا أثيما عدا عليه فقتله ، فانما يجهز كما يجهز غيره من الموتى ، فيغسل ، ويكفن ، ويصلى عليه ، وكذلك كانت حياة عمر وموته مصدر نفع للمسلمين) .



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، ونكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« افترض الله تعالى علي وعلى امتي الصوم ثلاثين يوما ، وافترض على سائر الأمم أقل وأكثر ، وذلك أن آدم لما أكل من الشجرة بقي في جوفه مقدار ثلاثين يوما ، فلما تاب الله عليه أمره بصيام ثلاثين يوما بلياليهن ، وافترض علي وعلى امتي بالنهار وما نأكل بالليل بفضل من الله تعالى » .

موضوع :

من رواته موسى بن نصر البغدادي قال الخطيب عنه انه غير ثقة . حدث عن الثوري ومالك وحماد احاديث منكرة .

ورواه السيوطي في اللآلىء المصنوعة واعتبره موضوعا .

« اذا غاب الهلال قبل الشفق فهو لليلة ، واذا غاب بعد الشفق فهو لليلتين » .

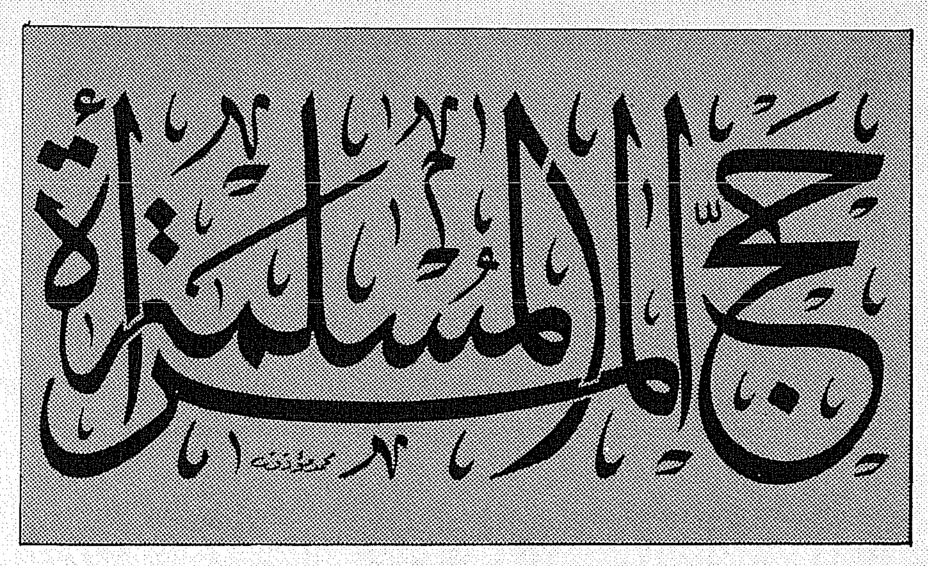
موضوع :

قال ابن حبان لا أصل له وحماد بن الوليد أحد رواته يسرق الحديث :

ورواه الوليد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر وهو ايضا يسرق الحديث

ورواه رشدين بن سعد عن يونس بن يزيد عن نافع ورشدين متروك الحديث .

ورواه السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، واعتبره موضوعا .



للدكتور زيدان عبدالباقي

الحج هو قصد مكة لاداء عبادة الطواف والسعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله تعالى : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)** « سورة الحج /٢٧ » والحج هو احد اركان الاسلام الخمسة لقوله تعالى : **(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** « آل عمران /٩٦ ـ ٩٧ » .

والحج واجب على المرأة وجوبه على الرجل سواء بسواء ، اذا استوفت شرائط الوجوب وهي : الاسلام ، البلوغ ، العقل ، الحرية ، الاستطاعة . ويزاد عليها بالنسبة للمرأة ان يصحبها محرم والمقصود « بالمحرم » هنا شخص ذكر ممن حرم عليه نكاحها ـ اي الزواج منها ـ على التأبيد بسبب مباح لحرمتها . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذي محرم » فقام رجل وقال : يارسول الله : إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « انطلق فحج مع امرأتك » رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

ذلك أن الزوج ليس ملزما بالحج مع زوجته ، اذا كان قد سبق له الحج باعتبار الحج من الفرائض التي تؤدى

مرة واحدة ، وأكثر من ذلك تعتبر على سبيل التطوع . ومن هنا جاءت فكرة « المحرم » وكذلك المرأة الارملة او غير المتزوجة او المطلقة .
ومن المشهور عند الشافعية ــ كما قال الحافظ ــ اشتراط الزوج او المحرم او النسوة الثقات ، حيث قيل : إنه « تكفي إمرأة واحدة ثقة » وفي قول نقله الكرابيسي وصححه في المهذب « تسافر وحدها إذا كان الطريق آمنا » وهذا كله في الواجب من حج وعمرة ، وفي سبل السلام .
وقال جماعة من الائمة « يجوز للعجوز السفر من غير محرم » على انه إذا خالفت المرأة وحجت دون ان يكون معها زوج او محرم صح حجها طبقا لرأي ابن تيمية « إنه يصح الحج من المرأة بغير محرم ، ومن غير المستطيع » على اعتبار ان المعصية إن وقعت فهي في الطريق وليس في نفس المقصود .
ويشترط الاسلام على المرأة أن تستأذن زوجها في الخروج الى الحج الفرض ، فان أذن لها خرجت . وإن تعنت معها ولم يأذن لها ، يبيح لها الاسلام أن تخرج بغير إذنه ، لأنه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة ، لأنها عبادة وجبت عليها ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
ولها ان تعجل به لتبرىء ذمتها ، كما ان لها ان تصلي اول الوقت ، وليس له منعها . ويلحق به الحج المنذور ، لانه واجب عليها كحجة الاسلام . وللرجل فقط في حالة حج التطوع حق منعها طبقا لرواية الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ في امرأة كان لها زوج ولها مال ، فلا يأذن لها بالحج ــ قال « ليس لها أن تنطلق إلا باذن زوجها » فقد أجمع العلماء على أن الحج لا يتكرر ، وانه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة ، إلا أن ينذره المرء فيجب الوفاء بالنذر ، وما زاد فهو تطوع .

المرأة والجهاد في الحج :

هذا والحج من الفرائض الدينية المصحوبة بالمشاق البدنية . ولذلك يوصف بانه نوع من الجهاد ، فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني جبان ، وإني ضعيف ، فقال : « هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج » رواه عبد الرازق والطبراني ورواته ثقات . وعن ابي هريرة ــ ايضا ــ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « جهاد الكبير ، والصغير ، والضعيف ، والمرأة الحج والعمرة » رواه النسائي باسناد حسن .
بيد ان الاسلام يبيح للمرأة إذا كانت متقدمة في السن أو مريضة ــ شأنها شأن الرجل ــ ان تنيب عنها . رجلا او امرأة ــ إذا كانت قادرة اقتصاديا ــ ليحج بدلا منها . ففي الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها ان تحج عن الرجل والمرأة ، والرجل يجوز له ان يحج عن الرجل والمرأة ، ولم يأت نص يخالف ذلك . وإذا عوفيت من مرضها بعد ان حج عنها

نائبها او نائبتها ، فان الفرض يسقط ولا تلزمها الا عادة . وليس للمرأة ان تنيب عنها من تشاء ليحج بدلا منها ، وانما يشترط فيمن يحج عن غيره ان يكون قد سبق له الحج عن نفسه ، لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : « لبيك عن شبرمة » فقال : « أحججت عن نفسك » قال : لا ، قال « فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة » رواه ابو داود وابن ماجة .

المرأة وآداب الحج :

قبل الاحرام يلزم الاسلام المرأة بالنظافة بمختلف اركانها وهي : تقليم الأظافر وحلق الابط والعانة والوضوء او الاغتسال وهو افضل ، وتسريح شعر الرأس غير انها إذا كانت حائضا أونفساء لا يجوز لها أن تطوف بالبيت حتى تطهر ، وإنما يجوز لها أن تغتسل ، وان يكون الغسل بنية الاحرام ، ثم تحرم وتقضي مختلف المناسك . والاغتسال ايضا يكون من اجل تغيير الرداء والازار ، ويجوز فيه استخدام الصابون ولو كانت له رائحة . فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن النفساء والحائض تغتسل ، وتحرم وتقضي المناسك كلها ، غير انها لا تطوف بالبيت حتى تطهر » رواه احمد وابو داود ، والترمذي وحسنه . وإذا أحرمت فانه لا يجوز لها تقليم الاظافر أو إزالة الشعر بالحلق أو القص أو بأية طريقة ، سواء أكان شعر الرأس أو غيره ، لقوله تعالى : **(ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله)** « البقرة/١٩٦» ويجوز إزالة الشعر عند التأذي من بقائه ، وفيه الفدية ، إلا في إزالة شعر العين إذا تأذت وهي محرمة ، فانه لا فدية فيه لقوله تعالى : **(فمن كان منكم مريضا او به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)** البقرة/١٩٦ هذا وإذا طافت المرأة وهي حائض أو نفساء أو جنبا أو كانت قد اشتركت مع زوجها في جماع بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق ، فانه تجب عليها « البدنة » أي ذبح جمل ، وتوزيع لحمه على الفقراء ، ومن لم تجد فعليها ذبح سبع شياه ، لقوله تعالى : **(والبدن** – اي الابل – **جعلناها لكم من شعائر** – اعمال الحج – **الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع** – اي السائل – **والمعتر** – اي الذي يتعرض لاكل اللحم – **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** « الحج /٣٦ ، ٣٧»

وليس للمرأة في الحج أن تستخدم المكياج الثقيل أو الخفيف ، وانما يجوز لها استخدام مياه الكولونيا أو ما أشبه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ، فتنضح جباهنا بالمسك عند

الاحرام ، فاذا عرقت إحدانا ، سال على وجهها ، فيراه النبي عليه الصلاة والسلام ، فلا ينهانا » رواه احمد وابو داود .

ومن جهة اخرى يكره للمرأة الخضاب بالحناء ، حال الاحرام إلا إذا كانت معتدة من وفاة ، فيحرم عليها ذلك ، كما يحرم عليها الخضاب إذا كان نقشا ولو لم تكن معتدة . فقد قال الاحناف والمالكية « لا يجوز للمحرم ان يختضب بالحناء في اي جزء من البدن سواء أكان رجلا أم امرأة ، لانه طيب ، والمحرم ممنوع من التطيب » .

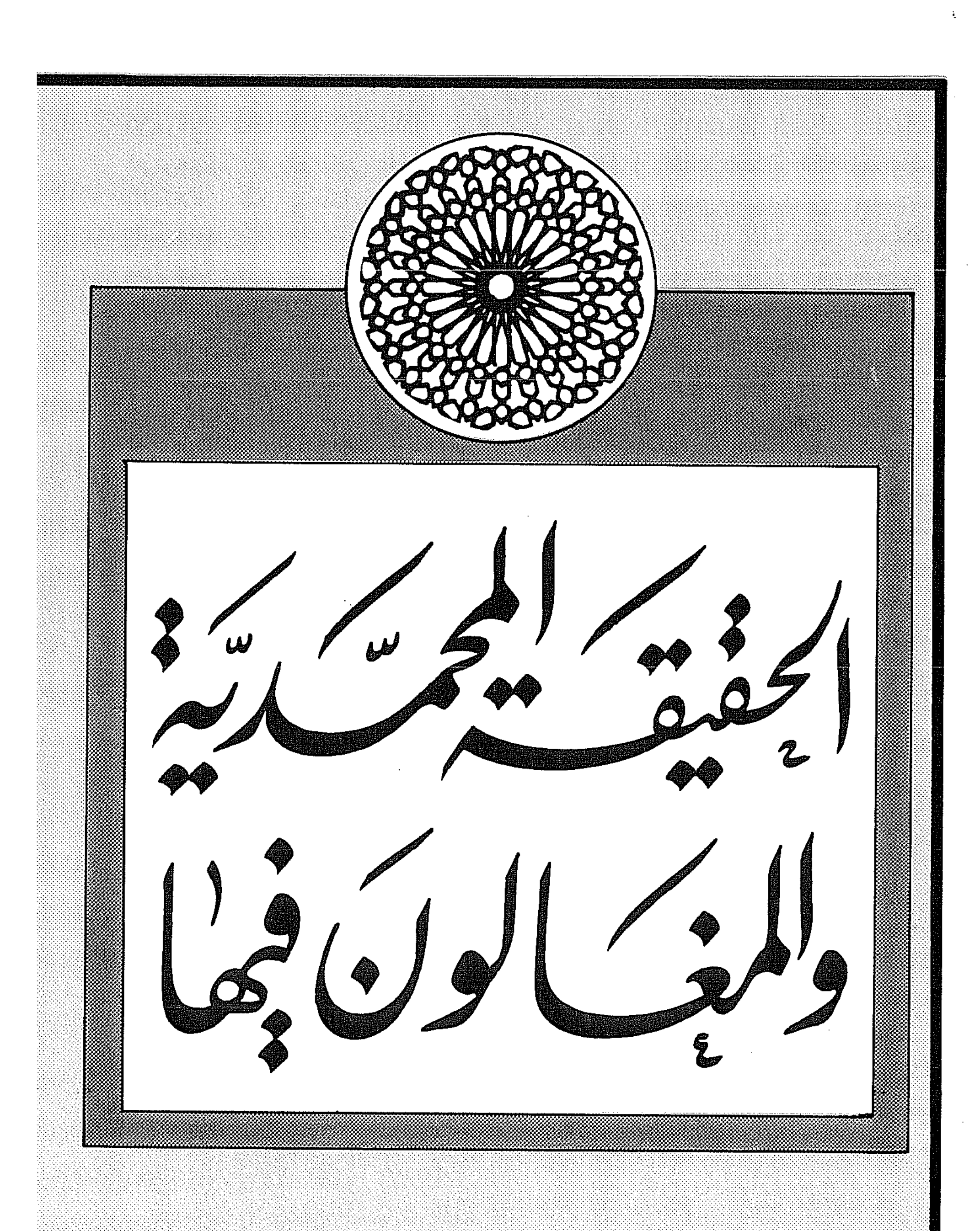
ومن المحظور على المرأة والرجل : الجماع ودواعيه ، كالتقبيل ، واللمس بشهوة ، واقتراف المعاصي التي تخرج المرء عن طاعة الله . وكذلك مخاصمة الرفاق والخدم وغيرهم ، لقوله تعالى : (**فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**) « البقرة/١٩٧»

اما من كان له عذر واحتاج الى ارتكاب محظور من محظورات الاحرام هذه ، غير الوطء ، كحلق الشعر أو لبس المخيط ، اتقاء لحر أو برد ونحو ذلك ، لزمه ان يذبح شاة أو يطعم ستة مساكين ، كل مسكين نصف صاع ، أو يصوم ثلاثة ايام ، وهو مخير بين هذه الامور الثلاثة ، مع مراعاة انه لا يبطل الحج أو العمرة بارتكاب شيء من هذه المحظورات سوى الجماع قبل الوقوف بعرفة .

وإذا كان الاسلام يوجب على الرجل حلق شعره بالموسى أو تقصيره عند دخوله الى المسجد الحرام ، لقوله تعالى : (**لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون**) « الفتح / ٢٧» فانه يجيز للمرأة ان تدخل المسجد الحرام دون حلق شعرها ، وإنما بتقصير فقط ، فقد روى ابو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس على النساء حلق ، وإنما على النساء التقصير » حسنه الحافظ . والطريقة ان تجمع المرأة شعرها الى مقدم رأسها ، ثم تأخذ منه نصف سنتيمتر تقريبا ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « المرأة إذا أرادت أن تقصر ، جمعت شعرها الى مقدم رأسها ثم أخذت منه أنملة » وقيل لا حد لما تأخذه المرأة من شعرها . وقالت الشافعية أقل ما يجزىء ثلاث شعرات .

واخيرا يبيح الاسلام للنساء التعجيل بطواف الافاضة يوم النحر إذا كن يخفن مبادرة الحيض ، فقد كانت عائشة تأمر النساء بتعجيل الافاضة يوم النحر مخافة الحيض . وقال عطاء : « إذا خافت المرأة الحيضة فلتزر البيت ، قبل ان ترمى الجمرات ، وقبل أن تذبح » .

وإذا كان آخر النسك الطواف بالبيت ، فاننا نرجو من الله لكل من كتب لها الحج هذا العام ألا ترفث ولا تفسق ولا تجادل حتى تعود من ذنوبها كيوم ولدتها أمها .


الحقيقة المحمدية
والمغالون فيها
للاستاذ/ عبد الكريم الخطيب

(١)

في كل مجتمع من المجتمعات الدينية السماوية ، وغير السماوية ، يكون هناك عادة فريق يسلكون طريق المغالاة والتطرف في معتقدهم الديني ، حتى ليبلغ بهم ذلك الى مجاوزة هذا المعتقد ، والخروج عن مقرراته واحكامه ، على حين يكون فريق آخر من المنتسبين الى هذا الدين ، قد بلغ بهم التقصير فيه ، والمجافاة له الى حد الانسلاخ منه ، والتحلل من كل احكامه ومبادئه .

وبين هذين الفريقين – المغالين والمقصرين – يوجد فريق ثالث قائم على الطريق الوسط بين الغلو والتقصير ، وهذا الفريق هو وحده الذي تتمثل فيه حقائق الدين ، وترى فيه آثاره ، سواء اكان هذا الدين حقا أم باطلا ، اذ ان في هؤلاء الملتزمين لحدود دينهم تنكشف حقائق هذا الدين ، فيقبل عليه من يقبل ، ويعرض عنه من يعرض ، على بينة منه ، ومعرفة به : (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة**) سورة الانفال / ٤٢ .

(٢)

ولما كان الغلو في الدين بخاصة ، اشد خطرا ، واعظم بلاء على المغالين ، من اهل التفريط والتقصير فيه ، اذ غالبا لا يكون للمغالين سبيل الى استعادة توازنهم بعد هذا الشرود والجموح ، على خلاف المقصرين الذين يمكن ان ينشطوا من خمولهم ، وان يستيقظوا من غفلتهم – لما كان ذلك كذلك من أمر الغلو ، فقد جاءت آيات القرآن الكريم محذرة أهل الغلو من الاسترسال مع غلوهم الذي لا يلبث بهم طويلا حتى يلقي بهم من حالق ، شأنهم في هذا شأن من يحاول ان يتسلق جبلا ، وعر المسالك ، عالي القمم ، وهيهات له ان يسلم من الهوى الى القاع جثة هامدة ! !

يقول الله تعالى في أتباع المسيح الذين غلوا في شخصه ، فألبسوه ثوب البنوة لله ، او الألوهية مع الله : (**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا**) سورة النساء / ١٧١و ١٧٣ . ويقول سبحانه ، في الفريقين من اهل الكتاب ، اليهود والنصارى : (**قل يا أهل الكتاب لا**

تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) سورة المائدة / ٧٧ .

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فخط خطا ، وخط خطوطا عن يمينه ، وخطوطا عن يساره ، ثم وضع يده على الخط الأوسط ، فقال : هذه سبيل الله جل وعلا ، ثم تلا قوله تعالى : (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)** ثم اشار الى الخطوط التي على يمين هذا الخط وعلى يساره وقال : ما من خط من هذه الخطوط الا وعلى رأسه شيطان يدعو اليه » .

وعن بريدة ، قال : خرجت ذات يوم امشي ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ، فاخذ بيدي فانطلقنا ، فاذا رجل يصلي ، يطيل الركوع والسجود ، فقال صلى الله عليه وسلم : اترى هذا يرائي ؟ فقلت : الله ورسوله اعلم ... فأرسل يده ، وطبق بين يديه ثلاث مرات ، يرفع يديه ، ويضربهما ، ويقول في كل مرة : عليكم هديا قاصدا ، فانه من يشاد هذا الدين يغلبه » .

(٣)

ومع تحذير الاسلام من هذا الغلو في العبادات ، وفي الاشخاص ومع ما كشف عنه من مغبة هذا الغلو ، ودمغ اهله بالكفر ، كما يقول تعالى فيما كان من اليهود والنصارى من مغالاة في بعض الاشخاص : (**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون)** سورة التوبة / ٣٠ — مع هذا التحذير ، فان بعض من دخلوا في الاسلام ، وقعوا في هذا المحذور ... اذ قد دخل في الاسلام اقوام من الاعاجم ، الذين كانوا يؤلهون الاكاسرة والقياصرة فادخلوا على الاسلام بعض تلك الموروثات الباطلة ، وهم يحسبون انهم بهذا انما يمدون الاسلام بما يحبب لأقوامهم الدخول فيه ، حين يرون قرب الاسلام منهم ، والتقاءه من قريب مع معتقداتهم .

واذا كان هؤلاء الذين صوروا الاسلام على تلك الصورة المموهة بالاباطيل — قد فعلوا هذا عن حسن نية ، وسوء فهم ، فانهم اعداء للاسلام ، في صورة اصدقاء وهذا هو البلاء العظيم ، والشر المستطير ، الذي يدخل اصحابه فيمن دخلوا في قوله تعالى : (**أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)** سورة فاطر : ٨ .

اذا كان هذا شأن المغالين في الاسلام عن حسن نية نابعة من جهل وغباء ، فان هناك فريقا من هؤلاء المغالين قد دخلوا على الاسلام بهذه المغالاة ، عن قصد الكيد لدين الله ، والنيل من امة الاسلام ، والوقوف في سبيل تقدمها وارتقائها في مدارج

العزة والقوة وتملكها زمام القيادة للعالم كله .

وما ظهور فرق المعتزلة ، والمتصوفة ، وجماعة اخوان الصفا ، وغيرهم ممن اشاعوا الفرقة والبلبلة والاضطراب في الفكر الاسلامي ، وادخلوا الاوهام والوساوس في قلوب كثير من المسلمين ـ ما هذا كله وكثير غيره ، الا كان السبب الأول في تلك النكسة التي زلزلت اركان الأمة الاسلامية ، واشاعت الفرقة والانقسام بين ابنائها ، والتي القت على جماعة المسلمين روحا خبيثة من الاستكانة ، والاستسلام والهزيمة امام ضربات الحياة ، حتى ارتدوا على ادبارهم ، وزايلوا مكان الصدارة الذي كان لهم ، دون ان يجدوا لذلك وخزة الم ، او مشاعر ضيق وهم ، وحتى لقد صدق فيهم قول الشاعر :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

(٤)

ولقد لعب التصوف والمتصوفة دورا خطيرا في التسلط على عقول المسلمين وقلوبهم ، بما اذاعوه في المجتمع الاسلامي من التعلق باوهام الزهد ، والانخلاع من متاع الحياة ، والهروب من ميدان العمل ، والفرار الى الخلوات في الزوايا ، والكهوف ، والمغارات ، وذلك كي لا يفتنوا بالدنيا التي تشغلهم عن ذكر الله ، والوصول الى مقام الولاية ، ذلك المقام الذي لا يناله من امسك بيده بشيء من اشياء الحياة الدنيا ! !

هكذا دخل التصوف على المسلمين من باب الدين ، والمغالاة فيه ، في تلك الفترة الحرجة التي ماجت فيها الامة الاسلامية بتيارات الفتن ، والخلافات المذهبية والطائفية ، والعقائدية ، منذ اواخر القرن الثاني للهجرة وما بعده .

ولقد وجد التصوف الطريق ممهدا لاستجابة كثير من العامة واشباه العامة ، كما يدعو اليه شيوخه ، واقطابه ، في زحمة الفتن ، وتكاثف دخانها ، من انه لا نجاة من هذا البلاء الا بارتداء ثوب التصوف ، والانخلاع جملة من كل شيء من حطام هذه الدنيا ...

وهكذا صور دعاة التصوف للناس انهم على ظهر سفينة توشك ان تغرق ، وان من اراد النجاة فليلق بكل امتعته ، ثم ليلق بنفسه في الماء عاريا ، وحسبه ان يسلم بنفسه ، ولا عليه ان هلك كل ما معه من متاع ! ولا شك ان هذا داء ، يراد به الاستشفاء من داء ، فيضيف الى الداء داء ، وهيهات ان يرجى من وراء ذلك شفاء ! !

(٥)

ويكفي أن نسوق هنا مقولة من مقولات المتصوفة التي دخلوا بها الى عقول المسلمين ، ومكنوا لها في قلوب كل من اتصلوا بالتصوف من قريب ، او من بعيد ، حتى اصبحت تلك المقولة عقيدة تزاحم عقيدة الاسلام ، وتحل مكانها عند كثير من المسلمين .

وتلك المقولة ، تتصل برسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتغالي في شخصه ، حتى تكاد تخرجه من العالم البشري ، الى عالم الملأ الاعلى ، ليكون آلها مع الله ، او ربا ثانيا يشارك الله في سلطانه ... فهناك عند المتصوفة ما يعرف « بالحقيقة المحمدية » ! !

ويستجلب المتصوفة للحقيقة المحمدية مقولات كثيرة من عندهم ، يدخلونها مدخل الاحاديث المنسوبة كذبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينسجون من خيوطها رقعا مهلهلة ، يلبسونها النبي الكريم ، حتى يغيب شخصه من عالم البشر ، ثم لا يرى فيه المسلم من خلال تلك الرقع الا ما يرى الرائي سرابا يلمع في الصحراء ، فيحسبه ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ! !

(٦)

ومن مقولات المتصوفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ، وكنت نبيا ، ولا آدم ولا الطين » ثم يأخذون من هذا القول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو اول ما خلق الله ، وان منه كانت سائر المخلوقات ! !

ثم انهم يؤيدون زعمهم هذا بحديث آخر ينسبونه الى الرسول الكريم ، وهذا الحديث : « كنت جوهرة في العرش ، فقال الله كوني محمدا ، ومن تلك الجوهرة خلق الله اللوح ، والقلم ، والكرسي ، ثم السموات ، والأرض وما فيهما » .

ولا شك ان هذه المقولات تدعي لمحمد بن عبدالله ما ليس له ، وتجعله من عالم آخر غير عالمه الذي ولد فيه ، كما يولد سائر ابناء آدم ثم يجتبيه ربه رسولا الى الناس ، مبلغا رسالات ربه ، كما اجتبى الرسل والانبياء من قبله .

(٧)

وانه لكي يحرس الله تعالى رسوله من هذه المفتريات التي تنتزعه من عالم البشر ، وتقطع الطريق على الذين يذهبون مذهب المغالاة فيه ، وانتزاع صورته الكريمة التي عرفها الناس له ، وتعاملوا بها معه ، وتمثلوا فيها صورة الانسان العظيم الذي تهفو اليه القلوب ، وتتعلق به الآمال في التأسي به ، والسير وراء خطواته .

ولو ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان من عالم غير عالم البشر ، لما رأى الناس فيه المثل الكامل للانسان ، في نبله ، وسمو اخلاقه ، وعلو مكانته ، الامر الذي يدعو الى تعلق النفوس به ، ونزوع الهمم الى تمثله ، والاقتداء به ، لينال كل انسان الحظ المقدور له من صفاته وكمالاته ... والناس انما تنزع نفوسهم ، وتتعلق آمالهم ، باهل المجادة والعظمة من الناس ... حيث الشبه قريب بينهم وبين هؤلاء الناس ...

وليس من شأن الناس ابدا ، ولا من منازع نفوسهم ان يتطلعوا الى مشابهة اي عالم من عوالم المخلوقات الأخرى غير عالمهم البشري ... فما

تصور انسان ان يكون أسدا مفترسا ذا انياب ومخالب ، ولا فيلا يحطم الشجر بانيابه ، ولا طائرا يطير بذراعيه ، ولا ملكا ، ولا شيطانا ، ولا غير ذلك مما يخرج به عن طبيعة الانسان ! !

والناس ــ كما خلقهم الله تعالى ــ انماط مختلفة ، ودرجات متفاوتة ، بين القوة والضعف ، وعلو الهمة وفتورها ، ووقدة العقل وخموده ... ومع هذا فكلهم في مسلاخ الانسان ، وفي صورته ... ومن هنا يقع التنافس بينهم ، كي يلحق الفقير بالغني ، والضعيف بالقوي ، والجاهل بالعالم ، ومن لا جاه له بأن يكون ذا جاه . وهكذا لأن الانسان في تلك الحال انما ينظر الى انسان مثله ، داخل العالم الانساني .

ولو كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم على صورة غير بشرية ، لما كان له سبيل الى الالتقاء بالناس ، ولنفر الناس منه ، فزعا وخوفا ، او استهزاء واستصغارا ...

ولهذا كان كل رسول بعثه الله تعالى ، واحدا من ابناء قومه ، ولد فيهم ، ونشأ بين ابنائهم لا ينكرون منه شيئا ، حتى اذا اختاره الله لرسالته كان من قومه الحسد له ، والخلاف عليه ، كما يقول تعالى في ثمود قوم صالح ــ عليه السلام ــ **(كذبت ثمود بالنذر . فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذن لفي ضلال وسعر . أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)** سورة القمر : ٢٣ ــ ٢٥ ويقول سبحانه على لسان مشركي مكة ، وما يقترحون من ان ينزل الله عليهم ملكا ، ليبلغهم رسالته: **(وقالوا لولا أنزل عليه ملك)** فيسفه الله تعالى مقترحهم هذا ، فيقول سبحانه : **(ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)** . سورة الانعام / ٨ و ٩ .

(٨)

وقد جاء القرآن قاطعا طرق الكذب والافتراء على رسول الله ، من أدعياء الولاية والقطبية والتصرف في هذا الوجود ، كما يخيلون للناس من زور وبهتان ، وذلك حين يبالغون في شخص رسول الله ، ويخرجونه من دائرة البشرية ، حتى يكون الها مع الله ... فلا عجب اذن ان يكون هؤلاء الاولياء والاقطاب ــ وان كانوا في صورة البشر ــ اصحاب تصريف غير محدود فيما هو لله تعالى وحده ! !

لقد اخذ القرآن كل طريق على اولئك الذين يتخذون من الكذب على رسول الله ، ستارا يدارون به كذبهم وافتراءهم على الناس . بدعوى انهم يقتدون برسول الله ، ويغرفون من امداد بحره ! !

وفي هذا يقول الله تعالى عن رسوله الكريم : **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم)** سورة آل عمران : ١٤٤ ويقول سبحانه **(قل إنما أنا بشر مثلكم)** الكهف : ١١٠ ويقول جل شأنه : **(وما جعلنا**

لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) سورة الانبياء : ٣٤ .

واكثر من هذا فان الله نعى رسوله الكريم ، وهو حي بين اصحابه ليتأكد لهم انه يجري عليه من سنن الله ما يجري على البشر جميعا ، فقال تعالى : (**إنك ميت وإنهم ميتون • ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)** سورة الزمر : ٣٠ و ٣١ .

وهذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يدع فرصة سانحة دون ان يذكر اصحابه فيها بانه بشر مثلهم ، حتى لا يدخل عليهم شيء من مشاعر الحب لشخصه ، والسمو بذاته ، يذهلهم عن الحقيقة ، التي يجب ان يؤمنوا بها ، وهي انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عالم البشر ، وان كان على رأس البشرية كلها .

ففي البخاري ومسلم ، عن ابن مسعود قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر خمسا ، فلما اخبر بذلك بعدما سلم ، سجد سجدتين للسهو ، ثم قال : « انما انا بشر مثلكم ، انسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » . وما هذا النسيان الا لتقرير بشرية الرسول .

وفي الصحيحين ايضا عن ام المؤمنين ، ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما انا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضهم يكون ابلغ من بعض ، فاحسب انه صادق ، فاقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هي قطعة من النار فليحملها او يذرها » .

وفي صحيح مسلم : « انه ليغان على قلبي ، واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة » .

(٩)

فماذا يقول القرآن الكريم اصرح واوضح من هذا القول ، في الكشف عن ذات النبي ، وانه بشر ، لم تزايله بشريته ابدا ، ولم ينسلخ عنها في اي حال من احواله ؟

ثم ماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه ، كي يدفع عن ذاته الكريمة هذا الغلو المنكر الذي يفتريه المفترون ، ويتخرص به المتخرصون ماذا يقول اكثر من قوله : « انا عبد آكل كما يأكل العبد » حتى يمسك هؤلاء المغالون فيه على طريق الحق الذي لا عوج فيه ؟

وها هو ذا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يجيء اليه رجل من اعراب البادية ، فاذا اطلع عليه من جلال النبوة وعظمة النبي ، ما يبهره ، ويملأ كيانه رعشة حتى يتفصد عرقه ، ويكاد يغيب عن وعيه ـ فيقول له ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حدب ورفق : « هون عليك ، فانما انا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد »

ان النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ انما تكون له منزلته العالية ، ومقامه الكريم ، الذي يعلو به فوق كل مقام للمخلوقات جميعها ، من حيث انه بشر مخلوق من طين ، ثم يرتفع بهذا الطين الى حيث تخدمه الملائكة

ليلة ان اسرى به الى الملأ الاعلى والى ان بلغ سدرة المنتهى التي عندها يقف جبريل رفيق رحلته ويتقدم محمد !!

وما كان امر الله تعالى للملائكة ان يسجدوا لآدم ، الا لما اراهم الله سبحانه من هذا المخلوق من الطين ما عجزوا عنه ، وكانوا يحسبون انهم اعلى منه مقاما ، واكثر علما ...

(١٠)

اذن فعلينا نحن المسلمين ، ان نقف في وجه هذه المفتريات ، وتلك الضلالات التي يلقي بها المتصوفة ومن يكيدون للاسلام ، في ساحة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث ينخدع بها العوام ، وتغشاهم منها سكرة تذهب بعقولهم ، اذ كان ذلك الذي يسمعونه تمجيدا للنبي ، ورفعا لقدره ، وليس أحب اليهم ، ولا اسعد لقلوبهم من الذهاب في هذا الى ابعد غاية ، ولو بلغ ذلك بالنبي مقام الألوهية مع الله ــ فذلك طريق سلكه من قبل علماء اهل الكتاب من اليهود والنصارى في تمجيد اليهود لعزير ، وفي تمجيد النصارى للمسيح ، وادعاء الالوهية لهما ، ووصلهما بنسب البنوة لله ! ! وقد تبعهم اتباعهم في هذا الضلال .

وانا لنخشى اذا طال الزمن بنا ، دون ان نتصدى لهذا الافك الذي يخرج من افواه المتصوفة ، ويسجل في كتبهم عن رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ان نصبح يوما وقد سرت فينا تلك السموم ، وانتقلت من العامة الى الخاصة ، واذا بنا ــ لا قدر الله ــ على هذا الطريق الضال الذي سلكه اهل الكتاب من قبلنا حين اقاموا بعض انبيائهم مقام الله عند المؤمنين بالله ، فنسوا الله وعبدوا بعض عباد الله .. وقد حذرنا الله تعالى من ان نصير الى هذا المصير المشئوم ، فقال سبحانه **(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون)** سورة الحشر / ١٩ .

هذا ، والذي يضاعف من هذا الخطر ، ويعمل على نشر هذا البلاء ، هو ما قد يقع في نفوس بعض اهل العلم من المسلمين من حرج في التصدي لهذا الغلو المؤدي الى الكفر في ذات النبي ، حيث يرون ان ذلك من علامات الحب الشديد لرسول الله . وان هذا الحب هو الذي حملهم على هذه المغالاة ... وهذا شأن المحبين الذين يحرقهم الوجد ، ويذهب بعقولهم الحب ، فاذا صحوا من سكرة الحب عدوا ما قالوه فيمن يحبون ضربا من المجاز لا حقيقة له ؟

وهذا لا شك تلبيس من تلبيسات الشيطان ، ومدخل من مداخله الى الضلال ، والكفر ...

فهل آن لنا ان نتنبه الى هذا البلاء ، وأن نحصن أنفسنا منه ؟ وإلا نفعل فاننا نكون عند قول الشاعر :

امرتهمو امري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

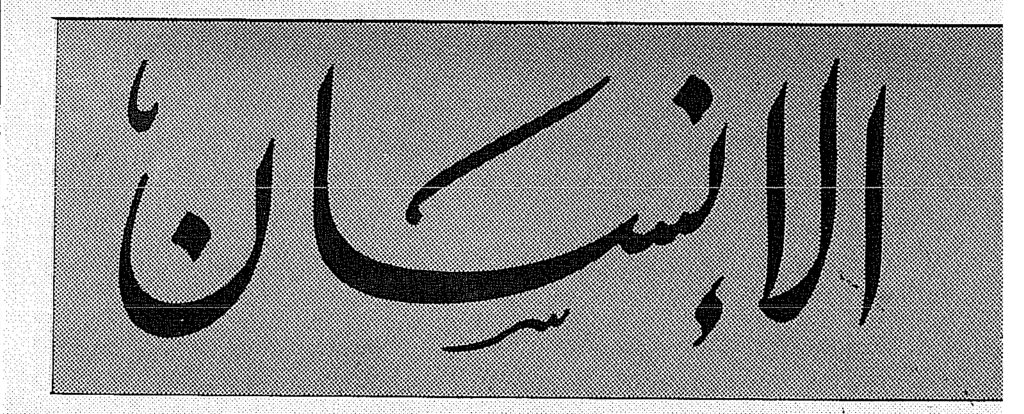
واذ ذاك ، فلا مفر ولا نجاة . والعياذ بالله .

ماذا يريد

كان يصحو كل يومٍ   راكباً مَتْنَ البكور
يحملُ الفأسَ ويسعَى   جاهداً مثلَ الطيور
همُّه مُذ كان في الأ   حياء تفتيتُ الصخور
في شقاءٍ لا يساوى   ما يلاقي من أجور
وعناءٍ ليس يُجدى   غير تقصيم الظهور
فانثنى يوماً كليلاً   مثل سُكان القبور
يتمنى لو تَرَاءَى   مثلَ أصحاب القصور
« آهِ لو كنتُ غنياً   ترتخي حولي الستور !!
من دِمَقْسٍ وحريرٍ   في ثناياها السرور »
فأجاب الله سُؤلاً   وهو مَنَّانٌ غفور
أنزلَ اللهُ ملاكاً   قال ما يَشفى الصدور :
فَلْيكن ما تبتغيه   أيها الراجي الجسور !!

★ ★ ★

وتولى البؤسُ عنه   وارتدى ثوبَ الثراء
وأتى الدهرُ إليه   في حَريرٍ وفراء
واستراحَ البالُ حتى   راح في دنيا الرخاء
فَرَأَى يوماً مليكاً   في جلالٍ وبهاء
ورأى الموكبَ يسعَى   في جمالٍ وازدهاء
تسطعُ الفرسانُ فيه   من أمامٍ ووراء
والمليك الفخم يرنو   مثلَ بدرٍ في السماء



للشاعر/محمود محمد بكر هلال

فوقه قبةُ ظِلٍّ ولها التبر طلاء
مُذ رآها راحٍ يدعو ويوالي في الرجاء
ليتني مَلْكاً وهذا موكبي يا ربُّ جاء
ليس للشمس إليه من سبيلٍ في الفضاء
سَمِعَ اللهُ فأوحى لك عبدي ما تشاء !!
ولتكن مَلْكاً عظيماً في احتفالٍ واحتفاء

★ ★ ★

لكنِ الشمسُ تبدَّتْ شُعلةً عند المدار
قوةً يَصلَى لظاها كل من في الشمس سار
قد بنت في الأفْق عرشاً شع من نور ونار
فَغَلَى الحقدُ بقلبٍ جاش بالحقد وثار
فتمنى لو تراءى مثل شمسٍ في النهار
فغدا في الحال شمساً أشرقتْ في كل دار
تُحرق العُشبَ وتُصْلِي كلَّ حيٍّ بالأوار
والملُوكُ الصِّيدُ تَعْنُو لسناها في اصطبار !!

★ ★ ★

غيرَ أن الجَوَّ أَبْدَى في ذُرَا الكَوْن ضَبَابَه
يَخنُق الشمس ويُلقي فوق مَسْراها حِجَابَه
فتَمَنَّتْ عند هذا لو غدت فوراً سَحَابَه
قيل : يا شمس فَكُونِي غَيْمَةً تُرضِي رِغَابَه

تَحبس الضـــوءَ وتُخفِي في ثناياهـــا ألْتهابه
ثم صارت قطراتٍ تغلـبُ البحـرَ انسيابه
وعَــلا الماءُ وأمسَى انهُـرًا تُزْجِـي عُبَابَه
لم يَدَع زرعـًا بأرضٍ لا ولـم يَتـرُك تُرَابَه
يَتـرك الأشجـارَ صرعَى في رضـاءٍ واستجابه
غـيرَ ان الصخــرَ أبْدَى عنـد مَجْـراه صَلاَبَه
أوقــفَ التيــارَ حتى سَدَّ بالاحجــارِ بَابَه !!

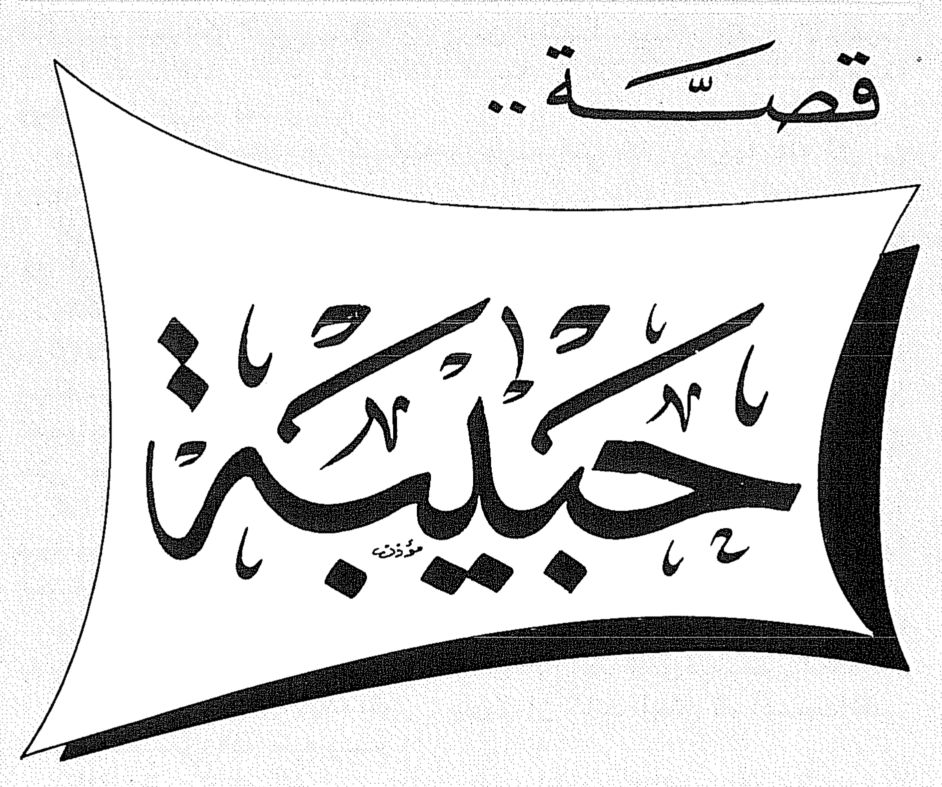
★ ★ ★

فَتَنَــزَّى الماءُ غيظاً من عنيــدٍ عاق سيره
بدَّلَ القــوةَ ضعفاً أكســبَ الأمــواجَ حَيْرَه
فتمنــتْ لو تبدتْ عنـد مجرى الماء صَخْره !!
لا تُبـــالي أيَّ ماءٍ تدفــعُ الأمــواجُ نَهْرَه
لا . ولا تخشى لهيباً أو ترى يومـًا مَضَره
ليس للدهــر عليها من سبيــلٍ فهــي حره !!

★ ★ ★

واستجــابَ اللهُ للأموا جَ والماءُ اسْتَقَرَّا
فاستحالــت مُذ دعته في الفضــاء الرحــب صخرَا
وأتــي الفــلاحُ يَسْعَى حامــلاً للفــأس ظُهْرَا
ثم أهْــوَى فوق هذي الصخــرةِ الصمــاءِ كِسْرَا
فأحسَّــتْ انَّ تلك الفأ سِ بالتعظيــم أحْرَى
والــذي أهْــوَى عليها دونَــه في القــدر كِسْرى !!
بل هو الدنيــا جميعاً فاق كل الخلــق قَدْرَا
فتَمَنَــتْ لو تَبدَّتْ ذلك الانســان دَهْرَا
يَحْطِــمُ الصخــرَ ويَذرُو رملَــه في الجــو ذَرَّا
وأجـاب الله للصخـ رةِ ما تبغيــه فَوْرَا
وتبــدَّى الصخــرُ إنســـانًا وَهَــي حظــا وأجرا
يحمــلُ الفــأسَ ويَلقَي في اكتســاب العيش عُسرَا
يَحْطِــمُ الصخــرَ ويُعطيَ من ضئيــل الأجــر نَذْرَا
مهنــةٌ شَقَّــتْ وعيشٌ صارَ بالآلام مُرَّا
انــهُ الانســانُ لا يُر ضِيــهِ مُلْكُ الــكون طُرَّا
فَارْضَ بالمقــدار تَسعدْ بالرضــا دنيــا وأخرى
لَســتَ تدري رُب شرٍّ كان للانســانِ خيرًا
وشَقــاءٍ كانَ نُعمَى واعتســارٍ صار يُسْرًا !!

★ ★ ★



للدكتور عبدالحي الفرماوي

... ودخلت حبيبة بيت أبيها ، ثم أجهشت بالبكاء ، والتف حولها كل من بالدار والجميع يتساءلون :

ما الذي حدث لها ؟ ويلحون عليها في معرفة سبب بكائها ، ولكنها تزداد بكاء .

وتقول الأم : دعوها حتى تستريح ، وتناولها قدحا من شراب ساخن أعدته لها فور دخولها البيت .

وتتناول حبيبة من أمها القدح ، ويخيم الصمت على الجميع وهم يرقبونها وهي تحتسي مشروبها .

والكل يضرب الأخماس في الأسداس عما عساه أن يكون قد حدث لها .

فالأم : قد انصرفت بذهنها إلى ذلك اليوم البعيد الذي أقبل عليها فيه زوجها « زيد بن خارجة » وهو يتهلل بشرا وفرحا ويخبرهم برغبة هذا الفتى الخزرجي

الثري ــ سعد بن الربيع ــ في الزواج من ابنتهما حبيبة ، وتفرح الأم فرحا شديدا ، فهذا الفتى هو من أغنى أغنياء المدينة ، وسوف يكفل لابنتها حياة هنيئة ويحقق لها كل ما تصبو إليه .

وتسترجع الذكريات عن شهامته ورجولته التي كان يعرفها عنه كل من يعرفه ...

إذن فهو العريس المطلوب ، وهو الرجل المرغوب ، ثم تتذكر : كم أنفق وينفق على ابنتها دون بخل ، وكيف يعاشرها بكل معروف .

وتنتبه من خواطرها : وتنظر إلى ابنتها وهي تحتسى المشروب الذي أعدته لها ، ثم ترتجف فجأة وهي تفتش في أفكارها عما يكون سبب بكاء ابنتها ــ ترتجف فجأة ــ حين يخطر على بالها : أن يكون سعد قد طلق ابنتها فتقوم واقفة وكأنها تنفض عن نفسها هذا الخاطر السيئ ، وهي تقول لابنتها : أكملي شرب القدح حتى أصب لك غيره .

أما الأب : فيعود بذاكرته إلى تلك الليلة التي يعلمها كل المسلمين ، والتي بايع فيها جماعة الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، والتي تم فيها اختيار الاثنى عشر نقيبا وكان منهم ، « سعد بن الربيع » ، زوج ابنته هذه .

وتذكر المرات العديدة التي كان يزور فيها ابنته ويوصيها بزوجها خيرا ، لما يعلم من مكانته عند رسول الله ، ولما يعلم من طبع ابنته الذي فيه بعض الحدة .

ثم سرح مع خواطره كأنه يقول : ياويلي إن كانت ابنتي قد أغضبت نقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وكان باقي أفراد الأسرة يسرحون في خواطرهم كذلك ، يلفهم الصمت ، ويجمعهم الترقب ، ويخيم عليهم القلق ، وتشدهم الرغبة لمعرفة سر حضور حبيبة في هذه اللحظة من بيت زوجها ، على هذا النحو الباكي .

والتفت إليها الجميع : حين اخترق سكون هذا الصمت الثقيل قولها :

يا أبت !!

فأجاب الأب بلهفة وحنان :

نعم يابنتي ..!!

قالت حبيبة :

أنا لن أعود إلى سعد ، وارجو أن لا تعيدوني إليه .

وتراقص القلق على وجوه الجميع ، وتزاحمت الأسئلة الحيرى على ألسنتهم ، التي انفكت عقدتها حينما نطقت حبيبة مقالتها هذه .

ونطق الجميع في صوت واحد :

لماذا ؟؟

ما الذي حدث ؟؟

وسبقت الأم الجميع في لهفتها ، إذ قالت في مرارة مفعمة باليأس .

أحدث طلاق يابنتي ؟

فأجابت ابنتها : لا يا أماه .
وانفرجت أسارير الأم ، وكأن كابوسا قد انزاح عن صدرها .
وهنا قال الأب :
إذا فهي العادة ، لعلك ازددت حدة على زوجك ، وارتفعت بينكما درجة النزاع ، وأحسبك لم تتحكمي في أعصابك ، وتتمالكي هدوءك ، مما أدى بك إلى الخطأ في حق زوجك كعادتك .
وقبل أن تجيب الابنة على أبيها ، أو ترفع إليه عينيها ، قالت الأم لزوجها :
مالك أيها الرجل ، دائما تتهمها ـ حتى قبل أن تعرف ماذا حدث ـ بأنها هي المخطئة ؟؟
ثم أضافت تدافع عن ابنتها قائلة :
إن ابنتي لا تخطئ ، وإذا ما أخطأت يكون هو الذي دفعها إلى ذلك .
وهنا ينبري زيد قائلا لزوجته :
اسمعي أيتها الأم العاقلة : إن صلاح البنت في حياتها الزوجية ، وفسادها كذلك ينبع من موقف أمها بجوارها في هذه اللحظات ، ثم أنت تعرفين جيدا أن ابنتك كثيرة الشجار مع زوجها ، دائمة النشوز عليه ، وخلق النكد في أوقات صفائه .
ثم يعود لهدوئه وتكتسي نبراته لهجة وقورة ، يشع منها الصدق ، ويفوح منها أريج الطهارة النبوية ويقول :
يقول الحبيب المصطفى : « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم : العبد الآبق حتى يرجع ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمام قوم وهم له كارهون » رواه الترمذي .
ثم يتجه إلى ابنته ويقول : ولا أحب يا ابنتي أن يكون زوجك عليك دائما ساخطا .
« إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء ، وكل شيء مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع » رواه الطبراني في الأوسط .
وهنا تنهمر الدموع من عيني الأم ، ثم تخفض برأسها إلى الأرض ، وتقول :
ياويلي : إن كانت ابنتي قد فعلت ما يغضب زوجها ويغضب الله ورسوله !!!
وهنا ترد حبيبة ، قائلة :
لا يا أماه ، لم أفعل ما يغضب الله ورسوله .
ويرد الجميع : ماذا فعلت إذا ؟
وهنا أجهشت حبيبة بالبكاء مرة ثانية ، وقالت :
إن سعدا قد لطمني على وجهي .!!!
وعلت الدهشة وجوه الجميع .
وقالت الأم لزوجها :

ها ... قد صدق قولي يازيد ؟؟
إن ابنتي قد ضربها زوجها ، وأنت تدافع عنه ؟ أخبرني ماذا تفعل الآن ؟
وهنا استغرق زيد في التفكير ، إذ أنه لم يكن يخطر بباله أن يحدث هذا ، ولكنه الآن حدث .
فماذا يفعل ؟
وما هو السبب الذي دفع بسعد زوجها إلى هذا ؟
أيأخذها معه إلى بيت زوجها ويعيدها إليه مرة ثانية ؟
أم يحجزها عن العودة إليه حتى يحضر سعد إليها ؟
أيطلب من زوجها طلاقها بسبب ذلك ؟
أم يتركها دون طلاق ويعاود زوجها ضربها ؟
ماذا يفعل ؟
ليهدئ من روع ابنته ؟
ويطمئن الأم القلقة ؟
ويضمن في نفس الوقت سعادة ابنته ؟
أسئلة حيرى ، ودوامة تضيق وتتسع ، وتعود لتضيق وتتسع .
ويفيق من هذه الحيرة ، ويخرج من هذه الدوامة بقرار أراح الجميع ، وأنقذهم من هذه البلبلة .
ويقول :
سوف أذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشكو إليه سعدا .
ثم يتجه إلى حبيبة ، ويقول لها :
قومي معي إلى النبي عليه الصلاة والسلام .
وترتدي حبيبة عباءتها ، وتخرج ، وتسير خلف والدها ، حيث المرشد ، والموجه والناصح الذي لا يترك أحد من المسلمين مشورته ، ولا يستغنى احدهم عن توجيهاته ولا يخالفون جميعا نصائحه .
ويتقدم زيد من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحكي له ما حدث ، ويختم كلامه بقوله :
« وهكذا أفرشته كريمتي فلطمها »
ويطرق النبي عليه الصلاة والسلام لحظة صامتا مفكرا ، وهو يبحث عن حل ، حتى يجد في القصاص الحل لهذه المشكلة .
وزيد وحبيبة : صامتان في خشوع ورهبة ، ولهفة لما سيقول .
ويخرجهم عليه الصلاة والسلام من لهفتهم ، وقلقهم ، وحيرتهم ، حينما يتجه إلى زيد ويقول له :
يازيد :
فيجيب زيد والسعادة تملأ جوانبه ـ حيث حظى بشرف خطابه عليه الصلاة والسلام ـ قائلا :

نعم يارسول الله .

فيقول عليه الصلاة والسلام :

لتقتص ابنتك من زوجها .

ولا يناقش زيد ، ولا تناقش حبيبة ، ويخرج زيد ، وتخرج معه حبيبة ، مطرقين ، صامتين ، حائرين .

الأب : لا يتصور كيف تقتص ابنته من زوجها على هذا النحو ، وتدوم الحياة بينهما هنية بعد ذلك !!

وحبيبة لا تتصور ـ وان كانت تحتد كثيرا على زوجها ـ ان ترفع يدها لتلطمه ، فهو زوجها وهو حبيبها .

لقد أتيا منذ قليل إلى النبي صلى الله عليه وسلم هروبا من الحيرة ، ولقد خرجا الآن تلفهما ـ اكثر من ذى قبل ـ نفس الحيرة . ولكنها فتوى الرسول صلى الله عليه وسلم !!

وجرجرا أرجلهما في تثاقل وذهول ، وخرجا .

وحينئذ ..!!

نزل القرآن !!

لينقذهما من هذه الحيرة وهذه البلبلة .

إذ نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة:(**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**) .

وهنا ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد وابنته ، ويتلو عليهما ما نزل لهما من السماء .

ثم يقول :

أردنا أمرا ، وأراد الله غيره ، وما أراده الله خيرا .

وهنا تنزاح هذه الغمة ، وتحل هذه المشكلة ، وتستريح النفوس ، وتهدأ القلوب ويعود الأب وابنته الى البيت ، وتعلم أمها بما حدث فتقول : آمنا بالله ورسوله وأطعنا .

وتقبل على ابنتها وتقول لها :

لقد تذكرت الآن قول عائشة رضي الله عنها :

« يامعشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن ، تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها » .

قومي يا ابنتي واذهبي لزوجك ، واستغفريه وأحسني عشرته .

ويذهب الجميع مع حبيبة الى بيت سعد بن الربيع ، وهم فرحون بما نزل فيهم من القرآن ، وسعداء بعودة البهجة إلى هذا البيت .



الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

دعوة هدامة باسم الاصلاح

ارسل الينا الاستاذ جابر محمد حسن كلمة يحذر فيها الجيل من نشوة التقليد وخطر الانقياد وراء كل دعوة ذات بريق جذاب تلبس ثوب الاصلاح وتخفي اسلحتها الفتاكة بالمجتمع المسلم من هذه الكلمة المختارة نقتطف منها ما يلى :

برزت الى حيز الوجود في الاونة الاخيرة فكرة بناء مجمع للاديان في سيناء المقدسة يشمل معبدا لليهود ، وكاتدرائية للمسيحيين جنبا الى جنب مع مسجد للمسلمين . واذا عدنا الى كتاب الله عز وجل نجده يقول : (**إن الدين عند الله الإسلام**) آل عمران / ١٩ ، ومعنى اقامة مجمع للاديان الثلاثة جنبا الى جنب ، انه لا فرق بينها ، الا ان الواقع يقول غير ذلك حيث ان اليهود ليسوا على شيء ، بعد ان حرفوا التوراة التي انزلها الله على موسى عليه السلام ، وتناولتها ايدي العبث والتحريف ، ومن هذا المنطلق فكل اليهود بلا استثناء يعلمون علم اليقين أنهم على ضلال ، ولذا فانهم يعيثون في الارض فسادا ، ويحاولون بشتى الطرق إبعاد المسلمين عن دينهم ، كما فعلوا مع المسيحيين الذين اصبحوا ايضا على لا شيء ، بعد ان نجحت محاولات اليهود معهم ، فاخرجوهم عن الجادة ، وابعدوهم عن رسالة المسيح ، واصبحت كنائسهم اماكن اجتماع للترفيه والتسلية واقامة الحفلات ، بل زاد الامر الى ان اصبحت ترتكب فيها الفاحشة جهارا ، كل هذا بجانب افتقادهم لعقيدة التوحيد التي يتمتع بها المسلمون ، وايضا حرف الانجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ، بل انقسم ايضا الى عدة اناجيل لكل منها اسلوبه الخاص ، وآراؤه التي يختلف فيها عن غيره . اما اذا نظرنا الى القرآن الكريم ، دستور المسلمين ، وكتابهم الخالد ، نجد أن الحق تبارك وتعالى قد تعهد بحفظه وصيانته فقال تعالى : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)

برواية اخرى وهكذا حتى يستكمل جميع الروايات ، وايضا كانت القراءة في المحافل ثم جاء العصر الخامس الهجري والذي حفل بعلماء لهم باع طويل في هذا الفن فأحدثوا جمع الروايات في الختمة الواحدة تيسيرا على الطالب وتمكينا له من التحصيل وسرعة الاستفادة .

وحول هذا المعنى يقول السيوطي في الاتقان :

« الذي كان عليه السلف الصالح اخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى اثناء المائة الخامسة فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستقر عليه العمل » .

وقال العلامة الدمياطي في كتابه « اتحاف فضلاء البشر وكان السلف لا يجمعون رواية الى أخرى وانما ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة أثناء المائة الخامسة في عصر احد ائمة القراءات « ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني » واستمر الى هذه الازمان » .

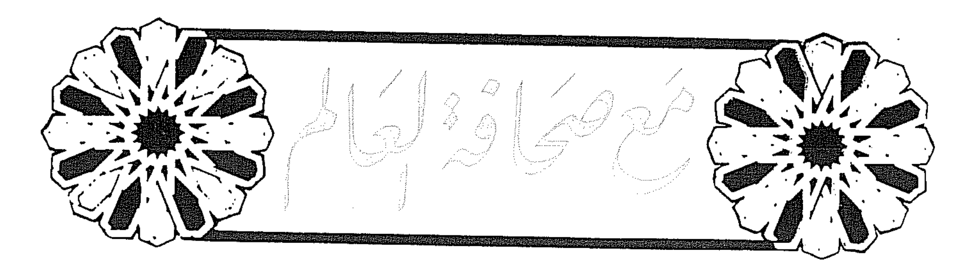
وقال العلامة المحقق ابن الجزري في كتابه « النشر في القراءات العشر » .

وكانوا يقرأون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها وهذا الذي كان عليه الصدر الاول ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة أي في عصر الداني وابن شيطا والأهوازي والهزلي ومن بعدهم فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستمر الى زماننا وكان بعض الأئمة يكره ذلك من حيث أنه لم تكن عادة السلف الصالح عليه ولكن الذي استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه وتلقيه بالقبول وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة التلقي والانفراد » .

وعلى هذا يتبين أن الجمع في المحافل لا ينبغي ان يكون ولا يجوز السكوت عليه لأنه منكر ، ولأن هذا الجمع تكرار لا يليق فهو يمنع السامع من متابعة المعاني القرآنية وتدبرها فيحرمه من عبادة جاء من اجلها . ويدفعه الى التفكير في متابعة الروايات المختلفة التي تطرق سمعه وتشغل فكره .

وان أسوأ الجمع ما يتم في كلمة واحدة اشتملت على عدة روايات ويظل القارىء يردد هذه الكلمة حتى يأتي على كل الروايات في نفس واحد ولا ريب أن هذا الجمع مخل بنظم القرآن الكريم وحسن تناسقه ومفسد لما يلازم القرآن من جمال اللفظ وحسن التعبير وإنه من حسن الايمان وسلامة الالتزام والحرص على كتاب الله ، اخراجه للناس بصوت حسن فيه الخشوع لله حتى يثمر في نفس السامع ثمرته المرجوة ، وليس من الدين في شيء ما يتم في المحافل اليوم ، فسوء الأداء دوافعه ايهام الناس أن عنده روايات أكثر من غيره مدعاة لصرف الناس عن حسن التدبر ، ومضيعة للوقت في غير ما يرضي الله .

وقصارى القول أنه يجب على من يتصدى لقراءة القرآن الكريم للناس أن يقرأ لراو واحد في الجلسة الواحدة وذلك كما يرى علماء القراءات وكما سار عليه العلماء من بعدهم .



القدس المغتصب

انتشرت أنباء مفادها اغتصاب القدس الشريف وتهديد المسجد الاقصى قبلة المسلمين الاولى ومسرى الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وتناقلت الأنباء عزم اليهود على ذلك غير مبالين ولا وجلين ، والمسلمون في الجانب الآخر ينتظرون متى تعود للمسلمين هيبتهم وقوتهم ويستردون القدس السليب .

وعن مجلة الاسراء الاردنية ننقل تلك الفقرات :

في قرار يكشف بوضوح تام طبيعة الكيان الصهيوني القائمة على اجتثاث الشعب الفلسطيني من وطنه ، وتهويد كل بقعة في فلسطين المحتلة ، قالت اسرائيل انها « اقرت قانونا يعلن ان مدينة القدس ستبقى موحدة تحت السيادة الاسرائيلية ومقرا لمؤسساتها الوطنية » .

وجاء توقيت اعلان هذا القرار الاسرائيلي عشية ذكرى « ١٥ ايار » الذي وقعت فيه النكبة الفلسطينية الاولى ، وتشريد العرب الفلسطينيين من اوطانهم وديارهم وارضهم وقيام الكيان الاسرائيلي على العدوان والتوسع .

وقد وافق الكنيست الاسرائيلي على القانون باغلبية كبيرة ويتضمن القانون الاسرائيلي ثلاثة بنود على النحو التالي .

- القدس عاصمة اسرائيل
- سلامة ووحدة منطقة القدس التي يتم تعريفها بعد قرار الضم ليست موضوع نقاش .
- يجب ان يقيم (رئيس الدولة) والكنيست والحكومة والمحكمة العليا في القدس .

واشارت (فرانس بريس) الى ان اغلبية الكنيست وافقت على هذه البنود . وان حزب العمال اراد ان يضيف بندا رابعا هو « ان تضمن اسرائيل حرية الدخول للاماكن المقدسة في المدينة للمؤمنين من جميع الاديان » .

ويمنع القانون الحكومة الاسرائيلية من « التنازل عن السيادة على اي جزء من القدس « في اية مفاوضات وسيكون عليها ان تغير القانون لكي تستطيع تغيير موقفها من القدس .

وقال ناطق فلسطيني رسمي في دمشق ان القرار الاسرائيلي يهدف الى اخراج الشعب الفلسطيني من وطنه .

وقال مسؤول الاعلام الفلسطيني الموحد في تعليق على القرار

الاسرائيلي : ان هذا القرار يأتي ليكشف بشكل واضح تماما طبيعة الدولة الصهيونية القائمة على اجتثاث الشعب الفلسطيني من وطنه وتهويد كل بقعة في فلسطين المحتلة .

الاسلام هو المنتصر دائما

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الضياء التي تصدر عن وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدبي مقالا عن الاسلام ومدى صلاحيته لكل عصر ويؤكد كاتبه أن الاسلام هو المنتصر دائما في كل عصر على الرغم مما يتعرض له من التعصب البغيض من رجال الفكر الغربي نقتطف منه ما يلي :

ان الاسلام على الرغم من كل حقد وكل تعصب اعمى مذموم لهو دين العالم بالامس ، واليوم ، وغدا ، باذن الله .

والاسلام في شموخه وانتصاراته وزحفه الى الأمام دائما هو الظافر المؤزر في معركة الحرب الخفية والمعلنة على الاسلام ، وهو الخالد أبدا لأنه دين الانسانية جمعاء .

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري سوف يكون العقل البشري مؤهلا في كل مكان لفهم روح الاسلام وشريعته السمحاء بلا تعصب ولا حقد ولا كراهية . وسوف ينشأ مع هذا الفهم الجديد علاقات وثيقة تربط الفكر العالمي بالاسلام ، وتدعم الصلة بين العقل الانساني وشريعة القرآن دعما قويا .

ان الاسلام هو الدين الوحيد الصالح لكل زمان ومكان ، والمؤهل دائما وأبدا ليكون دين البشرية جمعاء ، لأنه دين العقل ، ودين الفطرة الانسانية ، ودين التقدم والرخاء والثقافة والحضارة ، ودين السعادة للناس جميعا ، فلا دين يستطيع ان يسعدوا به كما يستطيعون أن يسعدوا بالاسلام أولا وأخيرا .

لقد حافظ الاسلام على حقوق الانسان دائما ، أيا كان لون هذا الانسان وجنسه ، ودافع عن الضعفاء والمظلومين والمضطهدين دفاعا نبيلا كريما رائعا وحمى حقوق الطبقات الكادحة الفقيرة عن عسف وجور الأقوياء والأغنياء وجاءت شرائعه وأحكامه نموذجا رفيعا للتشريع الهادف العظيم الموجه نحو خدمة البشرية جمعاء ونحو الرقي بها واسعادها وتقدمها .

لقد اضطر أفذاذ المفكرين في العالم الى انصاف الاسلام ، والتنويه بمآثره على الحياة والناس ، وبفضائله التي لا تتناهى والتي يغرسها في قلب المسلم عقيدة قوية متجددة بتجدد الحياة .

والاسلام في سموه وجلاله ، وعظمة مبادئه ، ونبل مقاصده ، وسماحة ويسر احكامه ، وفي تلاؤمه مع الفطرة الانسانية هو دين العالم جميعا في كل وقت وكل زمان وكل مكان ولسوف ينتصر الاسلام دائما وأبدا على خصومه الناقمين عليه ،

والمحاربين له والمتآمرين على شعوبه وأممه ، والذين يعملون من أجل تصفيته في العالم كما يزعمون .

وهم مدفوعون في ذلك بروح موروثة ، تؤمن ان الاسلام خطر عليهم ، ولا خطر عليهم من الاسلام لو كانوا يفقهون .

ليت الاديان جميعا تتصافق وتتصافح مع الاسلام ، لأنه هو الذي يحميها في الشدائد وينقذها من الهوة السحيقة التي تتردى فيها ، ويتردى معها فيها العالم كله .

والويل للعالم ان لم يستعن بالاسلام من اجل اسعاد الشعوب والانسانية .

نواقيس الخطر تدق

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الدعوة المصرية تقول :

من المستفيد اكثر ؟؟

واذا بحثنا عن المستفيد الاكبر من البترول نجده الدول الغربية ... ففي هولنده على سبيل المثال أكبر معامل التكرير في العالم وهي تملكها شركات متعددة الجنسية تقوم بتكرير البترول وبيعه بأضعاف سعره للعالم كله ... فلماذا اذن التجني على البلاد الغربية ....؟

لا شك اننا نشارك في ما يلقى علينا من لوم ....؟

ان برميل البترول الذي تبيعه دول الاوبك بسعر من ١٩ ـ ٢٢ دولارا اليوم يستخرج منه بعد التكرير مواد تباع بما لا يقل عن مائة دولار ان لم يكن ازيد .

لماذا لا تتجه هذه الفوائض لتنمية التكرير في موانىء عربية كجدة أو الكويت او الاسكندرية أو الحديدة أو غيرها حتى يكون لنا من البترول أكبر عائد ممكن بدلا من بيعه نفطا خاما بخمس ثمنه ...؟

لماذا لا تتجه هذه الفوائض لتنمية هذه الدول المتخلفة والعربية منها بوجه خاص كالسودان التي تتسع فيها الاراضي الزراعية الصالحة للزراعة فتغني المنطقة بالحبوب لا سيما القمح والحبوب الزيتية والاعلاف الحيوانية .

وكاليمن لاستصلاح واستزراع اراضيها واقامة صناعات بها حتى نقيها شر التردي في براثن الشيوعية ...

وغيرهما كثير .... فنحتفظ بأموالنا لانفسنا وننمي روابط الاخاء بين شعوبنا وننجو بثرواتنا بدلا من بقائها مهددة في دول الغرب بالتجميد أو التحويل الى سندات على الحكومات الغربية فتخرج من سلطاننا ونصبح عاجزين تماما عن التحكم في مصيرها .... دعك من تخفيض الدولار وارتفاع الذهب اللذين استهلكا من فوائض البترول البلايين التي لا تحصى من الدولارات ...

أرجو ....

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة	سبتمبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	١٠	١٠ ١٠	١١ ٣١	٥ ٤٦	٩ ١٧	١ ١٨	٤ ١٠	٥ ٣٠	١١ ٤٥	٣ ١٦	٥ ٥٩	٧ ١٨
الخميس	٢	١١	١٢	٣٣	٤٧	١٨	١٨	١٠	٣١	٤٥	١٦	٥٨	١٧
الجمعة	٣	١٢	١٤	٣٤	٤٧	١٨	١٨	١١	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٥
السبت	٤	١٣	١٦	٣٦	٤٨	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٥	٥٦	١٤
الاحد	٥	١٤	١٨	٣٨	٤٩	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣
الاثنين	٦	١٥	٢٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٣	١٢
الثلاثاء	٧	١٦	٢١	٤١	٥١	٢١	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠
الاربعاء	٨	١٧	٢٣	٤٣	٥٢	٢١	١٨	١٤	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩
الخميس	٩	١٨	٢٤	٤٥	٥٣	٢٢	١٨	١٥	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٧
الجمعة	١٠	١٩	٢٦	٤٧	٥٤	٢٢	١٨	١٥	٣٥	٤٢	١١	٤٨	٦
السبت	١١	٢٠	٢٨	٤٨	٥٤	٢٣	١٨	١٦	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥
الاحد	١٢	٢١	٣٠	٥٠	٥٥	٢٣	١٧	١٦	٣٦	٤١	٩	٤٦	٣
الاثنين	١٣	٢٢	٣٢	٥٢	٥٦	٢٤	١٧	١٧	٣٦	٤١	٨	٤٥	٢
الثلاثاء	١٤	٢٣	٣٤	٥٤	٥٧	٢٤	١٧	١٨	٣٧	٤١	٨	٤٣	١
الاربعاء	١٥	٢٤	٣٦	٥٥	٥٨	٢٥	١٧	١٨	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠
الخميس	١٦	٢٥	٣٨	٥٧	٥٩	٢٥	١٧	١٩	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٨
الجمعة	١٧	٢٦	٤٠	٥٨	٥٩	٢٦	١٧	١٩	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٧
السبت	١٨	٢٧	٤١	١٢ ٠٠	٦ ٠٠	٢٦	١٧	٢٠	٣٩	٣٩	٥	٣٩	٥٦
الاحد	١٩	٢٨	٤٣	٢	١	٢٧	١٧	٢٠	٣٩	٣٩	٤	٣٧	٥٥
الاثنين	٢٠	٢٩	٤٥	٤	٢	٢٧	١٧	٢١	٤٠	٣٩	٣	٣٦	٥٣
الثلاثاء	٢١	٣٠	٤٧	٦	٣	٢٧	١٧	٢٢	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٢
الاربعاء	٢٢	اكتوبر	٤٨	٧	٤	٢٨	١٧	٢٢	٤١	٣٨	٢	٣٤	٥١
الخميس	٢٣	٢	٥٠	٩	٥	٢٨	١٧	٢٣	٤٢	٣٨	١	٣٣	٥٠
الجمعة	٢٤	٣	٥٢	١١	٦	٢٩	١٧	٢٣	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩
السبت	٢٥	٤	٥٤	١٣	٧	٢٩	١٧	٢٤	٤٣	٣٧	٢ ٥٩	٣٠	٤٧
الأحد	٢٦	٥	٥٥	١٤	٧	٣٠	١٧	٢٤	٤٣	٣٧	٥٩	٢٩	٤٦
الاثنين	٢٧	٦	٥٧	١٦	٨	٣٠	١٧	٢٥	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٥
الثلاثاء	٢٨	٧	٥٩	١٧	٩	٣٠	١٧	٢٦	٤٤	٣٦	٥٧	٢٧	٤٤
الاربعاء	٢٩	٨	١١ ٠٠	١٩	١٠	٣١	١٧	٢٦	٤٥	٣٦	٥٦	٢٦	٤٣
الخميس	٣٠	٩	٢	٢١	١١	٣١	١٧	٢٧	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –